
عبدالكريم غلاب
صحفي في أمريكا

صحفى فى امريكا

عبد الكريم غلاب

صحفي في امريكا

ذات الهضاب السبعة

زيارة العالم الجديد تثير فى النفس شوقا نحس به نحن الذين نعيش فى غمرة العالم القديم اكثر مما يحس به الذين يعيشون على مقربة من العالم الجديد ، مقربة مادية او معنوية .

وما يزال عالم الولايات المتحدة عالما جديدا رغم الغاء المسافات والابعاد التى كانت تجعل جدته مقصورة عليه ، وما يـزال جديـدا رغم ان حضارة العالم جعلت من بعض اطراف العالم القديم عالما جديدا متجددا على مر الاحقاب .

ومن الطريف حقا ان ينتقل الانسان من العالـم القديـم مـن باريس الى العالم الجديد نيويورك او سان فرانسيسكو . فحضارة الماضى باصالتها وتركيزها وعنايتها بكـل ما يثير العقـل الـخلاق والذهن الوقـاد والعاطفة الملتهـبة والقلب الواعى والخيال الجامـح . كلها تتمثل فى باريس : فى شوارعها وبناياتها وهندستها ومتاحفها ومكاتبها وجامعاتها ورجالها ونسائها ، هـذه الحضارة العتيقـة

تطبع تمثال جان دارك فى اشهر ميادين باريس كما تطبــع تــمثال رجل الفكر فى زقاق مظلم مــن ازقــة السوربون ، وتطبــع المــرأه الباريسية الانيقة وهي تسير متهادية كعروس فى ليلة زفافها يعبق منها طيب عطر فرنسا ، كما تطبــع رجل العمل وهــو يشمر عـــن ساعديه ليستخرج من الحديد طاقة تضمن الاستمرار للحضارة

وحضارة العالم الجديد تتمثل فى امريكا : فى ولاياتها المتحدة. فى الانسان الذى دفع به حب المغامرة الى ان يرتاد القارة فيحــدثه فيها الحدث الجديد ، فى الحركة التى لا تمل ، فــى النشاط المبــدع الخلاق ، فى الروح العملية التي تقدر الزمان والطاقة بالدولار . فى قابلية الامتصاص والهضم التي تمتاز بها هذه البلاد ، والتي جعلت من الزنجي والانجليزى والايطالى والكنــدي والصينــي مواطنيـــن متحدين تجمعهم راية واحدة وان تعددت نجومها حتى بلغت الخمسين

والتقت الحضارتان فى حقيبتي : أروع عقل انجبته فرنســا فى القرن العشرين واكبر انسان انجبته امريكا فــى نفس القــرن : فى حقيبتي التقى جان بول سارتر اكبر مدافع عن الحرية ، حرية الفكر وحرية الحياة والتصرف . واروع فكر خط للحريــة «دروبا» يسير فيها عقل الانسان وعلمه وحياته ، التقى هذا الانسان الحــر باكبر مدافع امريكي عــن الانسان والحضارة «ارنست همنجــواي» الانسان الذي سخر قلمه للكفاح ضد الحرب ، فالتقت رائعته «وداعا أيها السلاح» برائعة سارتر «دروب الحرية» ومن خــلالهمــا ازور البلدين : من خلال العقلين الجبارين الداعيين للانسانيــة والحريــة وهما زميلاى حينما اهجر عالم الضوضاء الى غرفتي المنزوية الهادئة التي اكاد اسمع فى سكونها نبضات قلبي وصرير قلمي وهو يكتب.

من باريس امتطينا الطائرة الجبارة «بوينك» التي تنهب السماء بالاف من «الكيلومترات» فى الساعة وتحــاول ان تسابــق الشمس

والتي تحقق لك المعجزة فتزيد فــى نهارك نصــف ليلك ، وتجعلــك تعيش اطول يوم فى حياتك ان كنت من سكان المناطق المعتدلة التي يتساوى فيها النهار بالليل .

كان موعدنا مع الطائرة منتصف النهار ، وقطعنا فى القفص المعلق ثمان ساعات لم يهدأ هدير محركاتــهــا ولا تواضع انفهــا الشامخ عن علو اكثر عشر الف متر . وفــى القفص يضيق الطيور ذرعا بحريتهم المكبوتة فيحاولون الافلات من نوافذه الضيقة ، ولكن اقفاص السماء ليست كاقفاص الارض ، انها تشعرك بالاطمئنان عندما تمتطي بك اديم السحب ، وقد تشعرك بالاعتزاز والفخر ، فانت انت الانسان الذي لايطير تتحدى العقاب ، وتعلو سماءك فى امان ، وذلك هو السر الذي يعوضك من خوفك امنا ، ومن رهبتك ثقة واطمئنانا .

ونزلنا من الطائرة لنصعد اخــرى فتنقلنا ازيــد من خمســة آلاف كيلومتر ، وتحط بنا الرحال فى غرب القارة الامريكية فى سان فرانسيسكو .

ان مقاييس الطبيعة التي عرفناها قد تحطمت فى رحلتنا هذه لم تغرب شمسنا الا بعد منتصف الليل فى حساب الساعات التــي نحملها . وظل الافق يضيئه وهج الشمس ويعلوه قوس قزح ازيد من ساعة ونصف ساعة اخرى . وكــأن طائرنا كــان يطرد الليــل المهاجم حتى انهزم اخيرا امامه ، فاصبح ليلنا كاملا فى الساعــة الثانية بعد منتصفه فيما نحسب .

ان الطيران يسير فــى طريق تحطيم الرقــم القياسى الــذي ضربته الشمس فى مسيرها منذ دارت حول الارض ، وليس ببعيد ان ينتج الانسان طائــرة تــدور حــول الارض باسرع مــن دوران الشمس فتدور نطاق الارض وتعود الى مكانك فــى نفس يــومك او ليلتك . وما نزال نقيس الابعاد بفلك الارض . امــا الطائرون حــول

الفضاء والرائدون فى ملكوت النجوم والافلاك ، فلهم فى غير هـذه الرحلة مكان قد يقصوه علينا اذا كان مـن بينهم من يعنـي بقصص الرحلات او من يسمح له وقته بذلك .

سـان فرانسيسكو

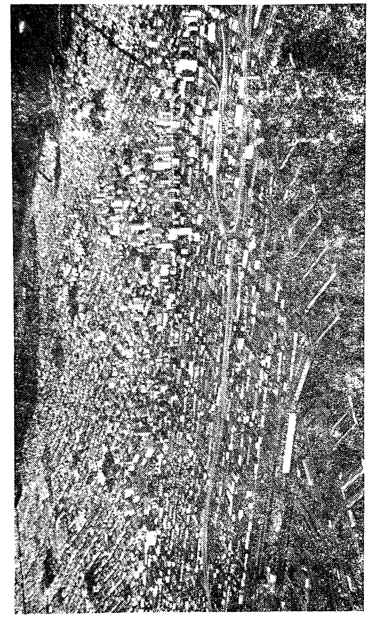
كذلك هتفت المضيفة الجميلة والطائرة تحط الرحال بعد ان اخترقت الجو على استحيا وهي تنزل ، لقد كانت وهـي تصعد قوية جبارة مؤمنة بنفسها متحدية الاجواء والغمامات والسحـب ، والان وهي تنزل تداور الجو وتصانع الفضاء ، فالارض ، ارضنـا هذه القاسية العنيفة الصلدة لايغالبها جبار الا حطمت راسه وفـي ارضنا هذه يجب الحذر ، فقد حطمت رؤوس العتاة ، وما بنا حاجة الى عتو وتطاول .

اخـت اكاديـر

مع كلمة سان فرانسيسكو تنبعـث ذكريات مـن التاريـخ القريب ، تاريخ النكبة التي حطمت هـذه المدينة ، مدينـة الهضاب السبعة ، فى أوائل هذا القرن 1906 فما تركت منها أثـرا ولا على ظهرها انسانا يسير ، انه الزلزال العنيف الذي اصبح لايذكر ، ولا يذكر الناس بمآسيه الا عند ما تحل الكارثة ببلدة أخـرى ، زلزال حطم واحرق المدينة التي انبعثت جديدة بعد سبع سنوات من العمل

أكادير .. اصبحت اختا لسان فرانسيسكو جمعت بينهـمـا النكبة ، وشقيت الاخت الكبرى وما تزال رزيتنا فى اكادير ماثلـة مأساتها امام اعيننا . حيلتنا ضعيفة فى محو آثار المأساة وفى شفاء المنكوبين بالمأساة .

فهلا فكرنا فى مؤاخاة المدينتين : سان فرانسيسكو واكادير قبل ان نواخي فلورانسا بفاس او مراكش بطشقند ، اعتقد ان اخت اكادير تستطيع ان تساعد على الانقاذ والتخفيف من آثـار المأساة فهي مدينة عمل ومال ونشاط ، وعند النكبات يظهر فضل الاخـوة والاخوات .



سان فرانسيسكو كما تبدو من الجو

فى سان فرانسيسكو يظهر الذوق الامريكي العملي الـذي لا يهدف الى ارضاء فن الجمال أو ذوق المتعة بمقدار ما يهدف الـى تحقيق المنفعة . انها مدينة جميلة تحيط بها بحيرة رائعة تسلك الى المحيط الهادىء واجمل ما فيها الغروب الذي يخلف فى سمائهـا شفقا لاتعرفه غير الافاق الهادئة المعتدلة . ولياليها رائعة باعتـدال جوها وسحر سمائها . وسكانها يعيشون لياليهم كما يحيون نهارهم فى زحمة العمل .

وامام كل هذا الجمال وهذه المتعة تصطدم بالمنفعة تشوه جمال المدينة ، فقد اتخذوا ، لتلافى الازدحام ولتحقيق السرعة ، اتخذوا لسياراتهم سلما او سلالم تعلو فى سماء المدينة او فوق سطحهـا على الاقل فـى شكـل قناطر وجسور متقاطعة تسلك بالسيـارات سبيلها لتترك المجال لاخرى ترتاد طريقها فوق سطح الارض.

التـعـايش السلمي

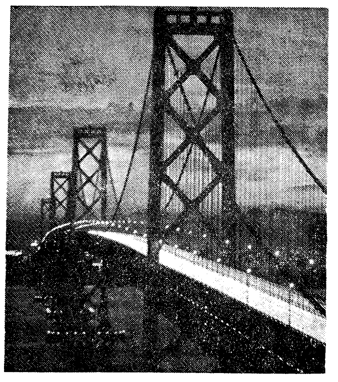
وفى سان فرانسيسكو مدينة صينية قائمة ، كـل ما فيهـا صيني ، سكانها ومتاجرها واسواقها ومطاعمها ، انك لا تكاد تشعر وانت ترتاد الحي بانك فـى امريكـا الا عن طريـق هـذه الرطانة الانجليزية التي يتحدث بها سكان المدينة مع الذين لايلمحون فـى وجوههم سحنة الصينيين .

هل هو احتلال او تعايش سلمي ؟ اعتقد انـه تعايش سلمي عادىء يظهر اجمل ما يمكن ان يحققه التعاون بيـن اجناس البشر والوانهم من ازدهار وتفاهم .

فـروم مروكـــو

وفى اقصى نصف الكرة الغربي لايجهلون المغرب . لاتـكاد تجيب عن اسئلة السائلين : (فروم مروكو) من المغرب ، حتى تعلو هتافات الاعجاب : اي نعم اعرف المغرب ان لى فيـه اصدقاء كانـوا يقطنون هناك . ويهتف سائق الطاكسي : لقد قرات عنه فى المدرسة وما ازال اذكر ، انه بلد جميل اذا صدقتني الذاكرة فيمـا تركتـه دروس المدرسة فى نفسي .

وهذه الغادة التي تسبح بسيارتها بعد منتصف الليل لاتكاد تعرف اننا من المغرب حتى تهتف : انكم اصدقا . تعالوا معــــي انقلكم الى الفندق . وهذا خادم الفندق الارمني الاسمر يجيب فـــي عربية متكسرة ، من المغرب ؟ انكم اذن عرب يقرب حديثكم مــــن حديث العرب ، اني اعرف من بلاد العرب بيروت ، ولكني لا اعرف المغرب .



اجمل قنطرة واكبرها في العالم، تربط بين اجزاء سان فرانسيسكو على البحيرة التي تتخلج المدينة وتتكون من طابقين تسير السيارات الثقيلة في الطابق الاول والخفيفة في الطابق الثاني



معاهد وجامعات

من الصعب ان يودع الزائر للولايات المتحدة سان فرانسيسكو عروس المحيط الهادي ، فهي المدينة التي تنتسب الى البحر الابيض بشمسها الهادئة المعتدلة النيرة ، وهوائها الجاف المنعش ، وسمائها الزرقاء الصافية ، وبناءاتها الضخمة الجميلة ذات الذوق الاوربي الاصيل ، وشوارعها الفسيحة النظيفة ، وسكانها صباح الوجوه زرق العيون .

هذه المدينة الابيضية التي ارتمت فى احضان المحيط الهادي لاتشعرك بجو الشتاء فى امريكا الشمالية ولا بجو الصيف فيها ، وانما هو الربيع المبكر فى مدينة مراكش مثلا وانت على شاطيء المحيط الهادي .

وكم يحز فى قلب الزائر الا تترك المنفعة مجالا ليكتمل بهاء الطبيعة فى هذه المدينة الجميلة . ان العمل ، والسرعة ، والآلة ، واستغراق الفضاء هو طابع الحياة فى الولايات المتحدة ، ولذلك لامجال لشجرة او خضرة او نافورة ماء فى مدينة جميلة كسان

فرانسيسكو ، واذا كانت الطبيعة قد انعمت بالبحر ، وبالبحيرة التي تتفرع عنه وتتخلج المدينة فانما ذلك لينتصر جمال هذه المدينة الخلابة على استغراق الانسان لفضائها وشوارعها وضواحيها .

ان بحيرة سان فرانسيسكو تنقل اليك جمال بحيرة ليمان في سويسرا او كومو في ايطاليا ، وبذلك تنقلك من جو امريكا الصاخب الى جو اوربا الهادىء الجميل .

معهد الابحاث والدراسات الصناعية

في سان فرانسيسكو عاصمة كاليفورنيا كما في غيرها من الولايات يقوم النشاط الاقتصادي والصناعي على أساس الدراسات العلمية ، فالمشاريع الاقتصادية الصغيرة منها والكبيرة لا ترمي فيها رؤوس الاموال عفوا ، ولكن الدراسة واختيار المشروع تسبق راس المال . والبحث والاعداد في مقدمة ما تقوم به الدولة او القطاع الخاص في كل عمل اقتصادي يراد له النجاح .

وقد زرنا في مقدمة ما زرناه من مراكز التصنيع في سان فرانسيسكو معهد ستانفورد للابحاث والدراسات لاستخدام رؤوس الاموال في الصناعات الصغرى

وهو مركز للابحاث يعمل في استقلال عن الدولة متصل بجامعة ستانفورد ولكنه مستقل عنها كذلك . ويقوم بنشاط كبير لتحضير المشروعات الصناعية الصغرى من الوجهة الفنية ولتقديم الارشادات في التنمية الاقتصادية للمناطق المتخلفة اقتصاديا ويقوم بهذه الدراسات سواء للحكومة في القطاع العام او المؤسسات والشركات في القطاع الخاص .

وقد استطاع المعهد في السنوات الاخيرة ان يمد نشاطه في القارات الاربع . فبحث خبراؤه الفنيون مشروعات اقتصادية

للهند والباكستان فى آسيا ولعدة دول فى افريقيا وأروبا وأمريكا اللاتينية وقد درس من هذه المشاريع حوالي 18 مشروعا مهما في سنة 1959 وارتفعت الى نحو 30 مشروعا فى سنة 1960 وينتظـر ان يقوم بما يماثلها فى السنة القادمة .

على أن المعهد قد قام بدراسة اكثر مــن 4 آلاف مشروع فى الخمس عشرة سنة الماضية داخل الولايات المتحدة . وما يــزال أفق عمله يتسع باعتباره معهدا ييسر السبيل للتنميــة الاقتصادية عن طريق المشروعات الصناعية الصغرى .

وقد كان مبلغ نشاطه فى سنة 1960 يقدر بنحو 25 مليــون دولار اي حوالى 125 مليون درهم .

ويتوفر المعهد على كل وسائل الدراسة الصناعية من معامل ومختبرات وفنيين وعلماء كبار سواء فى الصناعات الكيماويــة أو فى الشؤون الاقتصادية الكبرى ، وخبراء فى مشاكل الدول المتخلفة والذين استفادوا خاصة من تجاربهم فى البلاد التي ساهموا فيها بجهودهم .

ومن المفيد ان نشير الى ان المعهد شركة خاصة لاصلة لهـا بالدولة ، وهو مستقل تمام الاستقلال كسائر الشركات التي تقوم بأي نوع من انواع النشاط فى الولايات المتحدة .

والحرية المطلقة فى العمل الاقتصادي والعلمي التي تعيش فيها هذه البلاد هي التي جعلت باب العمل مفتوحا لسائر الجهود التي تبذل سواء فى الداخل او فى الخارج . فاذا كــان التعليم ــ بما فيه التعليم الجامعي ــ حرا ، وكان التجهيز الاقتصادي حــرا فى النشاط الاقتصادي فى العالم كما يعتبر استغلالا لطاقة متحركة فان انشاء مثل هذه المعاهد التي تقوم بالبحث والدراسة يعتبـــر دعامة للتنمية الاقتصادية ويعتبر مساهمة من الاقتصاد الامريكي فى خارج الولايات المتحدة .

في جامعة ستانفورد

فى كل ولاية من الولايات الخمسين عدة جامعات تقوم بالدراسات العلمية التقليدية والحديثة ، ولعل الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات قد شعرت بان الشعب والافراد قادرون على توفير التعليم لابنائهم ، بل لابناء الولايات المتحدة قاطبة ، ولذلك لم تكن سلطة الدولة فى حاجة الى الانفاق على هذا التعليم او رعايته ، بل انها لتعتبره فى عداد المشروعات الحرة ذات النشاط الاقتصادي الخاص فتقتضي منه — من المدارس والجامعات — ضرائب تعد بملايين الدولارات .

واقدم فى هذا الفصل نموذجين من جامعات الولايات المتحدة جامعة ستانفورد فى ولاية كاليفورنيا وجامعة برينستون فى ولاية نيوجيرسى

وتقوم جامعة ستانفورد على ارض متسعة فى احدى ضواحى سان فرانسيسكو .

بني هذه الجامعة ستانفورد وزوجته وقد كان عضوا فى مجلس الشيوخ فى سنة 1891 وانفق على بنائها حوالى 21 مليون دولار (باعتبار قيمة الدولار منذ 70 عاما)

وما تزال الجامعة تعتمد فى ميزانيتها للتسيير والتجهيزعلى ما يدفعه الطلبة والمتبرعون من الاغنياء والشركات الكبرى ، وفورد من المعدودين فى قائمة المتبرعين للجامعة . وميزانية التسيير اي الانفاق على التعليم والابحاث تقدر بنحو 20 مليون دولار فى السنة .

أما التجهيز فمن امثلته ان الجامعة دفعت فى العشر سنوات الاخيرة على الزيادة فى بنائها نحو 19 مليار فرنك .

ثا ني مد ينة

تعتبر شيكاغو ثانى مدينة بعد نيويورك ، وسكانها اصبحوا يعدون بستة ملايين ونصف مليون نسمة ، وقد زادوا مليون نسمة فى السنوات العشر الاخيرة

وتوجد هذه المدينة العظيمة فى اقليم متوسط بشمال القارة الامريكية ، وهي لذلك استفادت من خصب الاقليم وثراء ارضه ، كما استفادت من نشاط الجاليات التي تدفقت عليها وهي جاليات دفعت بها حيويتها ونشاطها وتطلعها الى أن تبنى الحياة الجديدة فى أمريكا .

وتوسط المدينة ووقوعها على ضفة بحيرة «ميشاكان» التـي تعتبر من اكبر البحيرات اعطاها مجالا بحريا للنقل وللصناعـة فى آن واحد ، ولذلك كانت واسطة العقـد فى المنطقة كلها سـواء من حيث الانتاج او التنقل ، وصناعة الاقليم كلها تنقل من مينائها

واذا كانت نيويورك تتيه بناطحات السحاب التي عم ذكرها آفاق العالم ، فان شيكاغو تنافسها فى هـذا الميدان أيضا ، وان كانت لم تصل بعد الى مكان زعيمة المدن الامريكية . فاعلى عمارة فى شيكاغو لا تعدو 42 طبقة !

ا ر قا م با هــــر ة

وتقدم لك شيكاغو ارقاما للنشاط الاقتصادى والانتاج تبهر القارىء .

فالشركات (الكبرى) توجـد منها فـى شيكاغو 210 مـــن الشركات ويوجد بها 700 2 شركة (من غير الشركات الكبرى) من التي لها علاقات تجارية دولية (ولا يدخل فى هذا العدد بالطبـــع الشركات المحلية) .

وفى الولايات المتحدة 20 من المعامــل (الاساسية الكبــرى) يوجد منها فى شيكاغو 15 معملا

وشيكاغو هي المدينة الاولى من بين مدن الولايــات المتحدة فى الصناعات الاساسية الاتية :

- الحــديــد
- الالات غير الكهربائية
- البترول

وتحتل المرتبة الثانية فــى صناعــات : المأكــولات ، الالات الكهربائية ، الطباعة ،الورق ، المــواد الكيماويــة ، اثــاث المنازل

ويشتغل فى شيكاغو 43،4 فى المائة من مجموع العمال فى الولايات المتحدة الامريكية .

دور الابناك في الحياة الامريكية

تلعب الابناك دورا رئيسيا فى الحياة الاقتصادية بالولايــات المتحدة ، بل انها العامل الرئيسي فى تسيير هذه الحياة ، ولا نبالغ اذا قلنا : انها لا تسيطر فقط على الحيــاة الاقتصادية للمجموعات البشرية التى تعيش فى الولايات ، والتى تقدر بأكثر من 180 مليون نسمة ، ولكنها تسيطر على الحياة الخاصة لكل شخص يتنفس فى الولايات المتحدة . فهي التي تمول كل عمل يمكن ان يقوم به الفرد أو الشركة ، بل انها تمول حياة الفرد الخاصة ، فأنت تستطيــع فى حدود مواردك ان تشتري كل ما تريد والبنك يدفع عنك كل ذلك ويستخلص دينه اقساطا شهرية مع الفوائد التي تتضاعف بصورة مدهشة ولهذا نجد معظم سكان الولايات المتحدة عبيدا للابناك ولهذا أيضا تجد نسبة استهلاك الفرد اقوى فى الولايات المتحدة منها فى أي بلد آخــر ، كما تجــد مستوى الحياة مرتفعا وطموح الافــراد للمكسب لاحد له .

ولعلك لاتستغرب بعد هذا اذا علمت ان عدد الابناك فـــى الولايات المتحدة وصل الى 14 000 بنك ، وقد تقدر اهمية هذا العدد اذا عرفت ان عدد الابناك فى كندا لايعدو (8) ثمانية . وقد انضمت كثير من هذه الابناك الى البنك الفيدرالى الذى يضم حوالى 6 آلاف منها .

وفى شيكاغو كثير من هذه الابناك ، وهي التي تسيطـــر على الحياة الاقتصادية فى الاقليـم ، بل انها تسيطر على الابنـاك الصغرى التي تمارس نشاطها فى الولاية .

ويتمثل نشاط المدينة العظيمة فى انها تملك مـــن المعامل 34 فى المائة من مجموع معامل الولايات المتحدة ، و 36 فى المائة من مجموع مراكز البيع بالجملة و 19 شركة للسكك الحديدية و 500 شركة للنقل بالسيارات (الكاميون)

وتنتج شيكاغو 5 فى المائة مـــن مجموع الانتاج العام فـــى الولايات المتحدة .

ويصدر هذا الانتاج الضخم الى جميع انحاء العالم وخاصة : أروبا والشرق الاقصى وافريقيا الشمالية والشرق العربـــي والبلاد السكندنافية واستراليا وقد تفاعلت فى السنوات الاخيرة حركـة التجارة بينها وبين شمال افريقيا والشرق العربى . وتقدر مـــــا تصدره بـ 4 مليارات من الدولار فى السنة اكثر من نصفها آلات .

ابحاث الذرة

ولا تكتفي شيكاغو بنشاطها التجاري والاقتصادي علىالعموم ولكنها تجد فى النشاط العلمي ، وقد بدات جامعاتها ومعاهدهـــا العلمية تقوم بابحاث فى العلوم الذرية واستخدامها فـــى الميـدان السلمي ولعل الدافع الاكبر لذلك هو استخدامها فى تنمية الانتاج وفى الصناعة التحويلية .

وتفتخر شيكاغو بانها جددت معظم آلات معاملها وانتاجها الصناعي بعد الحرب العالمية الاخيرة من أية مدينة اخرى في الولايات المتحدة .

معمل ينتج سيارتين في الدقيقة الواحدة

ولاكمل هذه الصورة عن النشاط الاقتصادي والعملي في المدينة الثانية بالولايات المتحدة انقل الى القراء نتائج استخلصتها من زيارتنا لاحد معامل السيارات بالمدينة . والشركة التي تنتج هذه السيارات وتدير المعمل تحتل المقام الثالث بين شركات السيارات وقد صاحبنا في زيارتنا السيارة وهي فتات من حديد وصلب وخرجنا من باب المعمل معها وقد اشتهى كل منا ان يركبها ويسوقها بنفسه .. ولكن هذه الرغبة لم تتحقق لاي منا . فقد ركبنا جميعا سيارة اجرة !!

ينتج المعمل سيارتين اثنتين في كل دقيقة ويشتغل 16 ساعة في اليوم ، ومجموع انتاجه في كل يوم 1800 سيارة .

وقد بلغ انتاجه في السنة الماضية 450 الف سيارة وسيبلغ انتاجه في هذه السنة 500 الف .

وقد قدرنا انه يمكن ان يزود المغرب بكل ما يحتاجه من سيارات في ظرف 10 ايام .

ويلصق المحرك بهيكل السيارة في ظرف 40 ثانية ويستخدم المعمل من العمال والعاملات 12000 من بينهم 720 عاملة . اي 16 في المائة من مجموع عدد العمال .

واجرة العامل تعادل 15 درهما في الساعة . وعطلة العمال السنوية اسبوعان فقط

ومن المعلومات التي استقيناها من ادارة الشركة انها تقوم ببناء معمل مماثل في كندا وآخر في اوستراليا

تلك صورة مصغرة عن المدينة العظيمة التي تجد لتقترب من مركز نيويورك ، ولا يهمها المركز السياسي الذي تحتله نيويورك بوجود مقر الامم المتحدة بين ناطحات السحاب فيها ، ولكن الذي يهمها هو المركز الاقتصادي والتجاري . وقد عبر عن هذه المنافسة احد رؤساء البنك الوطني الذي زرناه فى المدينة (وهوعربي الاصل يسمي مستر عبود) فقال لي ان العالم كله يهتف باسم نيويورك فى شيء من التبجح والجهل ، اما الذين يعرفون ما تنتجه شيكاغو والافاق التي تخترقها فهم يهتفون لشيكاغو بمثل مايهتفون لنيويورك .

ولست ادري اذا ما كنت بهذا الحديث عن مدينة شيكاغو قد استطعت ان ابين انها ليست مدينة المغامرين والخارجين على القانون كما تصورها الافلام الامريكية نفسها .

أرجو ذلك



في نيويورك

هل زرت باريس ؟
هل زرت لندن ؟

كذلك كان الناس يسأل بعضهم بعضا فى العقود الاولى ، من هذا القرن ، أما اليوم فقد كادت المدينة الجبارة «نيـويـورك» ان تستبد باهتمام سكان الارض ، وان ترث سمعة المدينتين اللتيـن قادتا حضارة العالم منذ عصر النهضة .

ومدينة نيويورك ـ وهي تضم بين احضانها مع ضواحيها عشرة ملايين من السكان ـ ليست عاصمة ولاية نيويورك ، ولكـن العاصمة هي مدينة (الباني) الهادئة الجميلة البعيدة عن سمعـة نيويورك وشهرتها . فرغـم أن نيويـورك تبـرز أهميـة الصنـاعـة والتجارة الامريكية ، فان الادارة التي تدير هذه الحركة قد ابتعدت عن مركز الصراع الاقتصادي الى حيث الهدوء النسبي الذي يتيح التفكير الجدي فى مشاكل هذه الولاية .

40 الف مركز صناعي

ونيويورك هي مركز الثقل فى الولاية ، ومن اجل ذلك كانت ولاية نيويورك تمثل عشر الولايات المتحدة الامريكية الخمسين ، وهي مركز صناعي وتجاري لا اهمية فيه لغير التجارة والصناعة أما الفلاحة فلا تمثل ولاية نيويورك غير ثلاثة فى المائة من مجموع ما تمثله الولايات المتحدة فى الوقت الذي نجد 40 الف مركز صناعي فى هذه الولاية .

والزائرون لنيويورك يقدرون قيمة التجارة الداخلية ، ومدى قوة الاستهلاك التي يتوفر عليها سكان هذه المدينة ولا ادل على ذلك من ان احد المراكز التجارية يقدر دخله اليومي بمليونين من الدولارات (اي مليارا من الفرنكات فى اليوم) ولهذا المركز التجاري ستة فروع فى نيويورك وحدها لايقل دخل احدها عن الآخر .

رغم كل ذلك فان التجارة الخارجية لمدينة نيويورك اهم بكثير من التجارة الداخلية . لذلك لا غرابة اذا احتشد عشرة ملايين من السكان حول هذه المدينة ، ولا غرابة اذا قصدها الذين يملكون طاقات العمل والكفاح فى سبيل المال من جميع انحاء العالم ، فهي المدينة الوحيدة فى العالم التي تجد من بين سكانها ممثلين لجميع شعوب الارض وتتنقل بين دكاكين التجارة فيها فتجد المغربي واللبناني والمصري والصيني والياباني الى جانب الاوربيين والافريقيين والاسيويين من كل دولة وجنس .

ومتاجر نيويورك ـ كسكانها ـ لاتنتمي البضاعة فيها لجنس او دولة ، بل ان الولايات المتحدة تفتح ابوابها لجميع بضائع العالم التي تنافس الصناعة الوطنية منافسة قوية ، ولكنه المذهب الحر فى الاقتصاد الذى يحارب الاحتكار فى الانتاج والتصدير

واذا كانت الجامعة قد بدأت بنحو 465 طالبا منذ سبعين عاما فقد أصبح فيها الآن 9 آلاف طالب أكثر من نصفهم يدرسون دراسات متوسطة . والباقي فى الكليات الجامعية ، وتقول ادارة الجامعة انها لاتستطيع ان تقبل جميع الطلبة الذين يتقدمون اليها بل انها لا تستطيع أن تقبل الا واحدا من خمسة طلبة يرغبون فى الالتحاق بها ... وتلاميذها من مختلف انحاء العالم وفيها الان 500 طالب ينتمون الى 66 دولة اجنبية .

وفى الجامعة 800 من الاساتذة 4 منهم من الحائزين على جائزة نوبل فى مختلف فروع العلم و 16 منهم اعضاء فى الاكاديمية العلمية .

وفى الجامعة سبع كليات اكبرها كلية العلوم وكلية العلوم الاجتماعية ثم كليات الهندسة والطب والحقوق والمعادن . وبها معهد للعلاقات الدولية فيه قسم خاص بافريقيا . وفى سنة 1959 فتحت الجامعة مركزا جديدا للطب كلف بناؤه وتجهيزه حوالى 15 مليار فرنك . وبهذا المركز مستشفى ومدرسة للممرضات ومدرسة للطب .

ومن المعاهد التابعة للجامعة مركز خاص لفن كتابة الكتب اخرج كتابا كبارا فى الولايات المتحدة

وفيها كذلك معهد خاص للقيام بالابحاث العلمية لحساب القطاعات العامة والخاصة . وقد عقد مع الحكومة الامريكية فى سنة 1959 عدة اتفاقات للقيام بابحاث لفائدتها وتقاضى المعهد عن هذه الابحاث 9 ملايين من الدولارات .

وبدأت الجامعة تهتم بعلوم الفضاء منذ سنة 1959 فبنت جهازا هاما لالتقاط الاشارات الفضائية قد يكون أعظم جهاز فى العالم .

وانشأت مركزا جديدا للفيزياء استخلصت مصروفات انشائه من مدخول مصباح كهربائي اخترعته الجامعة واصبح يستخدم بكثرة فى التليفزيون .

ومكتبة الجامعة تضم اكثر من 000 500 1 كتاب ويبنون مكتبة جديدة تكلف خمسة ملايين دولار .

وجامعة ستانفورد توسع نطاق عملها فى الخارج فقد احدثت فروعا لها فى شتوتجارث بالمانيا الغربية وفى تور بفرنسا وفلورنسا بايطاليا وفى طوكيو وتبيح الجامعة للطلبة ان ينتقلوا الى فروعها لمدة ستة اشهر حتى يستطيعوا الاستفادة من نشاط هذه الفروع.

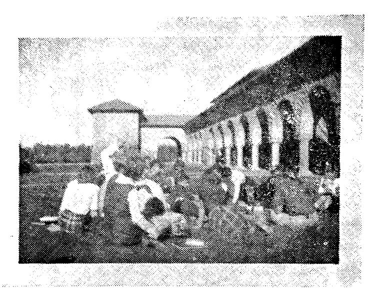
يدفع الطالب فى السنة الدراسية حوالى 000 630 فرنك سنويا ، ولكن هذا المبلغ هو نصف ما تنفقه الجامعة على كل طالب من طلبتها . وتقول ادارة الجامعة انها ارخص الجامعات فى الولايات المتحدة . اما الاساتذة فبعضهم يتقاضى حوالى 10 ملايين فرنك فى العام

واذا كانت الدولة تعترف برسالة الجامعة العلمية فان العقلية الامريكية لاتسمح بأن تعفى اي نشاط ولو كان نشاطا علميا من الضرائب الباهظة . ولهذا فان جامعة ستانفورد تدفع للدولة اكثر من 500 مليون فرنك فى السنة .

والجامعة تفخر بان اثنين من رؤساء الولايات المتحدة قد درسا فيها ، وهما (هوفر) و (كيندى)

ومن الطريف أن تعرف أن الطلبة يتمتعون بحرية مطلقة ، فقد حضرنا درسا فى الهواء الطلق خرج فيه الاستاذ والطلبة الى فناء الجامعة وجلسوا جميعا على الحشائش تحت شمس هادئة يتلقون درسهم ويظهر ان احد الطلبة اراد ان يتمتع بحرية اكثر

فاستلقى على قفاه ، وكان أكثر الطلبة والطالبات اسئلة ، وحينما يريد أن يسأل الاستاذ يرفـع قدميه الى أعلى بـدلا من أن يرفـع سبابته .



درس جـامعى فى الهواء الطـلق

جامعة « برينستون »

والنموذج الثانى نجـده فى جامعة برينستـون على الشاطىء الشرقى للولايات المتحدة فى مدينة صغيرة بولاية نيوجرسى ، وهي من أقدم المؤسسات التربوية الخاصة بالتعليم العالى تأسست عام 1910.

وتفتخر هي الاخرى بأن من بين خريجيها رئيسان أمريكيان سابقان هما : «جيمس ماديسون» و «ويدرو ويلسون» وعدد كبير من

السفراء وأعضاء مجلس الشيوخ والنواب وكبار موظفى الحكومة والعلماء والكتاب ورجال الصناعة .

أما المنهج التربوى الخاص الذى تطبقه جامعة بريستون فهو انتاج رجال قادرين على التفكير الشخصى الخلاق بمعزل عن كل اعتبار دينى أو جنسى او سياسى .

ومما قاله الرئيس الامريكى السابق «وودرو ويلسون» الذى كان قد شغل منصب رئيس للجامعة من 1902 الى سنة 1910 عن هذه الجامعة : «ان الهدف من متابعة الدراسة العليا فى هذه الجامعة هو تهذيب الحياة العقلية والروحية على السواء بمنهج عقلى وروحى يمكن صاحبه من استيعاب مكنونات عالمنا المعاصر والاستفادة من الامكانيات الكامنة فيه .

وتمتاز هذه الجامعة من بين الجامعات الامريكية أنها لا تقبل الفتيات بين تلاميذها فهي جامعة للرجال فحسب ، هل ذلك تقليد تخلف فى الجامعة منذ كانت الفتاة لا تشارك الفتى فى فصول الدراسة ؟ أم هو نوع من الاختصاص ؟ قد يكون ومع ذلك فما تزال الجامعة محرمة على الشابات .

وتضم جامعة برينستون الآن بين صفوفها 3900 طالب ، منهم 900 من المتخرجين الذين يواصلون دراستهم وأبحاثهم العالية للحصول على الدكتوراه والباكالوريوس .

واذا كانت فروع المعرفة النظرية والعملية واسعة الآفاق فيها انتدرس الجامعة الآداب واللغات العالية القديمة والحديثة وتدرس العلوم الرياضية والتطبيقية ، فانها لا تدرس الطب والحقوق واللاهوت مثلا .

وتضم الجامعة بين حظيرتها نحوا من 100 بناية خاصة بالطلبة وعدد من المبانى الاخرى لاقامة الاساتذه ، وفى هذه المبانى الى جانب

فصول الدراسة والمختبرات العلمية دور للسكنى ولوسائل التسلية الرياضية والفكرية .

وفى الجامعة مكتبة ضخمة تحتوى مليونى مجلد فى شتى فروع المعرفة وبها قاعة للمطالعة تستوعب عددا من القراء لا يوجد مثيل لها فى أية جامعة أخرى . وفيها مطبعة أسست عام 1912 تنشر أكثر من 50 مؤلفا كل سنة بالاضافة الى النشرات والمجلات العلمية والطلابية .

وفى الجامعة مختبرات علمية حديثة جدا للتدريب العلمى واجراء الابحاث ، وهي مجهزة باحدث ما ابتكره علماء أمريكا من المعدات العلميـة كالجهاز المسمى «سينكروتون» الخاص بالابحاث الفيزيائية والذى تبلغ طاقته 3000 مليون فولت

وبها ملعب رياضى يتسع 45000 من النظارة بالاضافة الـى أحواض السباحة والملاعب الفرعية ترضى رغبة أربعين فريقا رياضيا يمارسون 15 لونا من أنواع الرياضة وهناك أيضا 400 فريق رياضى ثانوى تقيم ما يقرب من 3600 مباراة فى السنة .

وتصدر عن الجامعة جريدة يومية ومجلة شهرية ومجلة أدبية وبها فرق للموسيقى والتمثيل والغناء ومنظمات وأندية لمزاولة النشاط الاجتماعى الطلابى العام كالشطرنج ، والصيد ، والطيران ، والرماية وتسلق الجبال والتصوير .

والجامعة كسائر الجامعات الامريكية حرة تتقاضى من الطلبة أجور دراساتهم وتكون هذه الرسوم نصف الميزانية السنوية للجامعة وتقبل تبرعات تلاميذها القدماء ورجال المال والاعمال والمتبرعين من الشيوخ والعجزة الذين يرغبون فى تخليد أموالهم بمشاريع علميـة والجامعة توظف أموالها فى الصناعات المختلفة فتعود عليها بأرباح

تسدد بها بعض مصاريفها ، تضاف الى ذلك الموارد الاخرى الناجمة عن الابحاث العلمية التى تبيع الجامعة استغلالها .

واذا كان على الطلبة ان يدفعوا اجور دراستهم فان بعضهم يضطر احيانا الى العمل فى بعض الاماكن التى تتطلب عمالا حتى يوفر لنفسه مالا يدفعه لقاء دراسته ، وهذا تقليد نجده فى كثير من الجامعات الامريكية . وقد رأيت فى جامعة ستانفورد طلابا يشتغلون خداما فى مطاعم الجامعة بعد الفراغ من الدروس دون أن يجدوا فى ذلك غضاضة ما . ومع ذلك فجامعة برينستون تقرض الكثير من الطلبة قرضا حسنا يدفعون به مصاريفهم الدراسية على أن يعيدوه بعد تخرجهم ، وفى هذا العام الدراسى يتمتع بهذا القرض 35 فى المائة من طلبة الليسانس و 95 فى المائة من طلبة الدكتوراه .

وبالجامعة 200 طالب أجنبى التحقوا بها عام 1961 من 50 قطرا أجنبيا .

وتعمل الجامعة على تكوين شخصية تلاميذها من الناحية العلمية حتى يصبحوا قادرين على التفكير الحر المستقل ولـذا فان نظامها الدراسى الخاص يقتضى من كل طالب أن يقدم عرضا أسبوعيا شخصيا ويناقشه مع أساتذته وأقرانه وذلك يعود الطالب التفكير الشخصى ، ويساعده على تكوين آراء شخصية مستندة الى البحث العلمى المجرد ، وتختار أساتذتها دائما من العلماء المبرزين فى ميادين اختصاصهم .

شيكاغو ثاني نيويورك

حينما ترتفع الراية الامريكية ترتفع معها خمسون نجمة اشارة الى الولايات الخمسين التى تحالفت على ان تعيش كأمة واحدة ودولة واحدة . ونجاح هذه التجربة ـ تجربة الولايات ـ فى النظام الاجتماعى والسياسى مدين لاسس التعاون والعمل المشترك الذى تخلق به سكان الولايات على اختلاف اصولهم الجنسية واديانهم واتجاههم العملي لكسب معيشتهم بين الفلاحة والصناعة والاعمال التجارية والمالية المتعددة الاشكال .

فلعل سر نجاح الولايات وبقائها ، بل تضاعف عددها منذ حرب الاستقلال من 13 ولاية الى خمسين ولاية ، لعل سر ذلك هو التكامل والتعاون بين سائر السكان وفى سائر ميادين العمل. والتكامل والتعاون بين طبيعة الولايات وممكناتها المختلفة .

المنافسة بين الولايات

ولكن هذا التكامل لايعني انعدام روح المنافسة بين الولايات وبين المدن المهمة ، بل ان المنافسة اصبحت عنصرا قويا فى تضاعف النشاط وازدياده وخاصة فى الميدان الاقتصادى ، الصناعى منه والتجاري والمالى .

ولعل من الامثلة الواضحة على هذا التنافس الحى العنيف هو الذي يوجد بين نيويورك وشيكاغو المدينة الثانية بين المدن العشر المهمة فى الولايات المتحدة الامريكية .

واذا كان اسم نيويورك يوحى بعظمة البنايات والنشاط والحركة والصراع بين رجال المال والاعمال ، فان شيكاغو اصبحت تنافس نيويورك فى كل ذلك وتنفس عليها حتى هذه السمعة العالمية التي تتمع بها .

لغة الارقام

والقابضون على زمام الحياة الاقتصادية فى شيكاغو وهم رجال الصناعات والابناك لا يتحدثون لك بالعاطفة ، ولا يذكرون لك «الماضي المجيد» او الموقع الطبيعي او جمال السما او الهواء كما نفعل نحن حينما نفاضل بين المدن او الاقاليم ، وانما يتحدثون لك بالارقام وينافسون بقوة الطاقة المتحركة فيهم ، وفى امكانيات البلد والاقليم الذي تسيطر عليه .

فلغة الارقام هي اللغة التي يتحدث بها سكان الولايات المتحدة قاطبة ، هي التي يقيسون بها الحياة والنشاط والماضي والمستقبل وهي التى يقومون بها الارض والبحار والسماء وما يمكن ان تنتجه كل منها .

ولهذا اعتذر للقراء اذا انا خرجت عن مألوف عادتي معهم فحشرت فى هذه الاحاديث ارقاما لاصور بها جوانب من حياة امريكا فبغير الارقام لا يمكن ان انقل اليهم اية صورة عن الحياة فى الولايات المتحدة الامريكية .

يحارب كذلك تقييد الاستيراد حتى بالنسبة للبضائع التي تمتاز الولايات المتحدة بانتاجها .

واليابان تغزو السوق الامريكي غزوا لامثيل له ، وبضائعها ارخص من البضائع الامريكيه وربما اجود منها ، ومع ذلك فانت تجد متاجر واسعة النطاق لانبيع غير البضائع اليابانية .

ومعنى ذلك ان ميدان التجارة مع الولايات المتحدة واسع للذين يعرفون كيف يغزون اسواقها النهمة والتي تبتلع كل ما تنتجه مصانعها وما تنتجه مصانع العالم .

مدينة الابناك

ومدينة نيويورك مدينة الابناك وناطحات السحاب والمصانع الهائلة ، فالابناك هي التي تزود الصناعة والتجارة وتسيطر عليها، وهي التي تملك الاسهم الكبيرة فى معظم المشاريع الصناعية والتجارية ، ويكفي ان نعرف ان بنك مانهاتن ، الذي يملكه روكفلر واخوانه وهم اكبر اغنياء العالم ، هذا البنك يروج اكثرمن 10 ملايير من الدولارات فى العام (اي خمسة آلاف مليار فرنك) وبناية هذا البنك الجديد من افخم بنايات العالم واعظمها (تتكون من 60 طبقة) واثاثها من اروع ما تشهده العين فى البذخ والرفاهية . وقد قوض البنك عمارته القديمة ليضع فى مكانها حديقة صغيرة بجانب البناية الجديدة .

هذا مثال من الابناك العديدة التي تهيمن على التجارة والصناعة فى نيويورك .

ونضرب للمعامل مثلا بمعمل الورق فى البانى وهو معمل صغير ولكنه مثل فقط للمعامل التي تنتشر فى هذه الولاية الضخمة

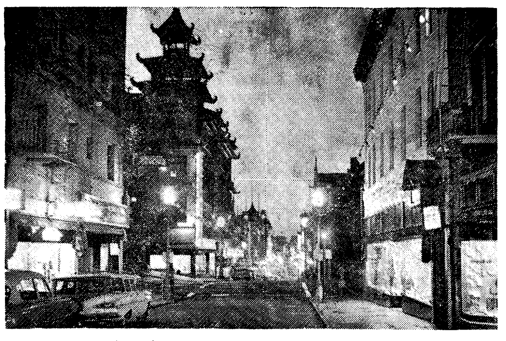
يروج هذا المعمل 300 مليون دولار فى العام (اي 150 مليار فرنك) ويدفع من الاجور 180 مليون دولار فــى العام وارباحــه الصافية 12 فى المائة اي حوالى 36 مليون دولار فى العام (18 مليار فرنك) .

من هذه الارقام المجملة لبنك ومعمل ومتجر ندرك مبلــغ الاموال التي تروج فى مدينة نيويورك ومبلغ النشاط الاقــتصادي والتجارى على الاخص .

ناطحات السماء

وقد اشتهرت المدن الامريكية بالبنايات الضخمة العالية التي اصبح يعبر عنها فى كل اللغات بناطــحــات السماء . واشتهــرت نيويورك من بينها بانها ضربت الرقم القياسي فقد زرنا من بيــن المدن المهمة سان فرانسيسكو وشيكاغو وبوسطن فلم نجد مــــن العمارات من اجتازت الاربعين او الخمسين طبقة فى علوهـــا ، ولكن نيويورك بلغت الرقم القياسي فأنت واجد فيها ناطحة سحاب بلغت اربعا ومائة طبقة ، اما ذات الستين والسبعين فتعتبر مــن البنايات العادية التي تستعملها الابــناك أو الــدور التجاريــة المهمــة وادارات الشركات .

وهذه العمارات قد تبهر العين وتدل على سعة افق المعماريــيــن الذين استعاضوا عن الارض بالسماء والذين تغلبوا على ضيــق الارض عن ان تسع ملايين السكان والعاملين مهما اتسعت رقعتها والذين استطاعوا ان يحشروا عشرة ملايين ساكنة عاملة فـــى مدينة واحدة ، وهي فى الوقت نفسه تدل علــى تطور فــن البنا وقوته وعلى تطور صناعة المصاعد الكهربائية التي تعبر عشرات الطبقات فى اقل من ثانية . فلا تكاد تفتح عينيك من اغماضتها حتى



احد الاحياء الصينية التى تنتشر في المدن الكبرى بالولايات المتحدة

تجد نفسك قد اجتزت الستين او السبعين طبقا . وهي فى الوقت نفسه ترضى حركة العمل وحركة التجارة فانت فى احداها قد تجد الاداراة للعمل والمتجر والسوق والمطعم والمسكن وقد لا تضطر للخروج منها الا لرغبة فى نفسك .

ورغم كل ذلك فان التطاول فى البناء والتسابق نحو الارقام القياسية يظهر المدينة على غير تناسق فني جميل وقد لا يرضى الذوق الفني فيما نحسب نحن الذين اعتدنا فى المدن تخطيطا يهدف الى التناسق اكثر مما يهدف الى التسابق ، فما يرضى حاسة الفن عندنا ان نجد عمارة شامخة فى السماء ، وما يزيد قطرها عن بضعة امتار .

حياة متعبة

والحياة فى مدينة نيويورك تبهر بالحركة والسرعة والنشاط فما فى شوارعها مجال لمتخلف او مبطىء او متسكع ، وهي تعيش من كثرة الحركة فى ضوضاء غريب فكان ساكنيها فى دوامة يسيرون بطاقة اندفاع لا دخل لارادتهم فيها ، والآلة تخفف من ازدحام البشر فوسائل المواصلات والتنقل فى الشوارع وداخل العمارات وفى المتاجر والمطاعم والمقاهي تخفف من تدافع البشر ، ومع ذلك فلا مجال لغير المندفعين فى سرعة جنونية ليتسابقوا مع الزمن فى استهلاك طاقاتهم .

ومن اجل كل ذلك فالذهن لايكاد يجد راحة ، والذوق لا يكاد يجد مجالا للتذوق ، والفكر لايكاد يجد مجالا للتفكير . فالانسان آلة تتحرك تعمل وتنتج بقوة حركتها وطاقة اندفاعها .

وهناك مجال آخر للتسابق استغله سكان نيويورك وهو استخدام النور الكهربائى فى الاعلان . لقد اضاءوا المدينة وحولوا ليلها نهارا، ولكن تفننهم فى الوان الاضواء وحركتها الخاطفة وكثرتها جعل تأثيرها على الاعصاب حادا قويا وعنيفا .

ومن اجل ذلك كانت الحياة فى نيويورك متعبة ، وكانالكثير من سكان نيويورك تنتهي بهم الحياة الى مأساة نفسية قد تصل الـى الجنون .

ان المدينـة الجبارة تعيش علـى اعصاب عشرة ملاييـن ، ينتفعون منها بقدر ما تطحن فيهم كل نزعة للخير ، وكل امل فـى حب بني البشر . انها مدينة يعشقها البعيدون عنها ، ولكنهـا لا تدري بالبقاء اما الذين التهمتهم فهم فى دوامتها يسيرون بقـوة الاندفاع التى تسوق عشرة ملايين من بنى البشر . هـم فى جنتهم الملتهبة لا يستطيعون ولا يرغبون فى الخروج منها لانها تقدم لهم كل ما يبتغونه دون أن يشعروا بما تاخذ منهم ، حسابها مع أعصابهم وراحتهم وهناء حياتهم ، ومع ذلك فهم راضون مغتبطون .

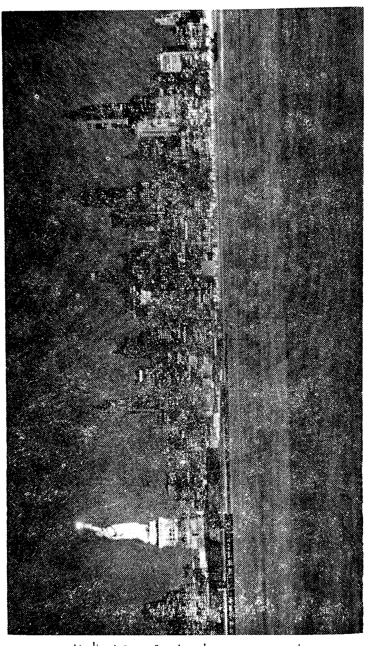
مدينة الفقر والاستجداء

ونيويورك هذه التي يطغى فيها البذج والتسابق لجمع المال وانفاقه تجد فيها الكثير من الذين يمدون ايديهم طلبا للقمة خبـز وقد يدهشك ان يقف فى وجهك شاب قوي البنية مفتول العضلات ليطلب منك مالا او سيجارة اما الذين يطلبون المال باستخدام آلـة موسيقية أو ناقوس أو تكوين جوق للانشاد فهـم يحاصرون ملتقى الشوارع المهمة فى نيويورك ، وقد الفهم الناس فلا يلفتون النظـر الا عند الذين تجود نفوسهم بالسنسات او الدولارات .

وفى نيويورك حى للمتسكعىن والفقراء تدخله فلا تكـاد تحسب نفسك فى مدينة متحضرة دروبه ضيقة متهدمة عفنـة ، وسكانه يقفون على قارعة الطريـق يجترون فقـرهم وبؤسهـم ، واكثرهم من الذين لفظهم ميدان العمل ليستلمهم عالم الادمـان والبؤس والحرمان . وقد تجد من بينهم كثيرا من الملونين الذيـن لم تستطع مناكبهم ان تنافس فى شوارع المال والعمل .

تمثال الحرية

فى مدخل مدينة نيويورك البحري يقف تمثال الحرية العظيم الذي اهداه الشعب الفرنسي للشعب الامريكي كـرمـز لتعضيده كفاح امريكا فى سبيل التحرر من السيطرة الانجليزية ، وهـو بضخامته وعظمته ما يزال – فى جزيرته التي اعتزل فيها دنيـا نيويورك – كعبة الزوار من جميع انحاء العالم ، وهو تمثال علـى ضخامته مفروغ من وسطه تستطيـع ان تصعده فى درجات ملتوية مرهقة حتى تطل من جبهة الحرية على المدينة المندفعة فى ميدان الحركة بحرية لامثيل لها .



جـانب من نيو يـورك وفي مقدمته تمثـال الحرية



فى الأمم المتحدة

في مدينة نيويورك الحية تقف بناية الامم المتحدة لتنافس مثيلاتها من عمارات الابناك والادارة والتجارة . والحق انك تعبر الباب الى هذه البناية العالمية وقد استوحيت معنى جديدا لم تكن تجده عند دخولك لاخواتها الكبريات والصغريات . وقد يكون هذا الايحاء من رايات الامم المتحدة التى تعانقت أو تجاورت رغم ما بينها من من خلافات أساسية عميقة.

وتدخل البناية فتجد نفسك فى نيويورك نفسها : الحركة الدائبة المستمرة والضجيج الهائل الذي يشعرك بانك فى خلية نحل تهدر فيها لغات مائة واربع دول

ان العمل فى الامم المتحدة اخذ طابع نيويورك : تحايل وتسابق وابرام الصفقات فى اوقات الراحة وعلى مائدة الاكل وتزاحم بالمناكب ، ومظهر براق يخطف الابصار ، ثم لااخلاص فى تطبيق المبادىء ولا رغبة فى تحقيق الاهداف ، وتدخل الممرات فتجدها كسوق دولى مجال المزايدة فيه واسع النطاق بين سائر الاجناس

وبكل اللغات . وقد تدخل الجمعية العامة او احدى اللجان او المجالس التابعة لها فتجد معظم المقاعد فارغة ، فقد انصرف الاعضاء الى تصفية المشاكل فى (الكواليس) ، وتركوا الخطباء يخطبون على المقاعد الفارغة .

انه طابع نيويورك ، واذا كان قد يصلح للتجارة والمزايدات والتحايل فى كسب المنفعة ، فما كان احرى الامم المتحدة ان تبتعد عن هذا الطابع ، ما كان احراها ان تستقر فى بلد هادىء فيه مجال للتفكير وحب الخير والامل فى مصلحة البشر ، ما كان احراها ان تبتعد عن عالم الاعصاب الثائرة والانفعال المريع ، ان نيويورك لاتصلح كمدينة يقرر فيها مصير العالم

دور الامم المتحدة في المساعدة الفنية

لا أحاول ان اقدم صورة عن الامم المتحدة ونشاطها السياسى فذلك ما يعيشه كل قارىء يوميا ، ولكنى اخترت ان اعنى بجانب اكثر ايجابية من نشاط الامم المتحدة كنتيجة لزيارتى لمقر المنظمة العالمية ، واخترت بالذات المساعدة الفنية التى تقدمها للدول المتخلفة بعد أن اضحت هذه الدول تكون الاغلبية الساحقة من بين أعضائها ، وهو جانب يمكن أن نقدر به الامم المتحدة أكثر مما نقدرها من جانبها السياسى .

منذ انشاء الامم المتحدة فى سنة 1945 وهي تفكر فى ايجاد اعانة فنية للدول المتخلفة وفى ميثاقها ما يضمن هذه الاعانة .

ومنذ انشائها ايضا وهي توفر من أموال الهيئة والمنظمات التابعة لها ما يساعدها على تقديم هذه الاعانة .

ولكن لم يبتدىء تحقيق هذه الفكرة الا فى سنة 1949 حيث وضعت الهيئة برنامجا موسعا للاعانة الفنية ، وبذلك اصبحت قادرة

على اعانة كثير من الدول وكل دولة من الـدول الاعضـاء تساهم بواجباتها فى ميزانية هذا البرنامج . وفى سنة 1950 كانت ميزانية البرنامج 20 مليون دولار وفى سنة 1958 ، بلغت الميزانية 31 مليون **دولار وبلغت هذه السنة 50 مليون دولار.**

وتساهم الهيئة ب 20 فى المائة من ميزانية البرنامج وقد انشىء مكتب فى الامانة العامة كلف بموضوع المساعدة الفنية ، وأوجدت كل منظمة من منظمات الهيئة الاممية مكتبا خاصا بها للدراسة وتطبيق الاعانة التى تدخل فى اختصاصها .

والمكتب المركزى الملحق بالامانة العامة يهتم بالتنمية الاقتصادية والتنمية الصناعية والمساعدة الاداريـة والمالية والاحصائية والنقـل والمواصلات التلغرافية والتيلفونية . اما المكاتب الاخرى فكل منهـا تختص بالمساعدة فى الميدان الفنى الذى تهتم به .

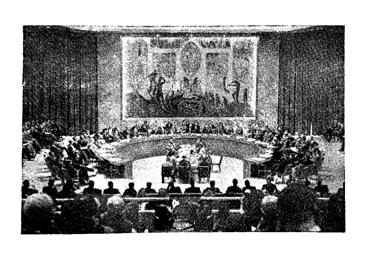
ومنذ بدأ تطبيق هذا البرنامج طلبت نحو 140 دولة المساعدة الفنية من الامم المتحدة . ولا تبذل هذه الاعانة الا وفق رغبة الدولة **التي تطلب المساعدة، ولا تستعمل وسيلة للتدخل السياسي في الدول** المعانة .

عشرة آلآف اختصاصي

والمساعدة الفنية أنواع :

اولا : ارسال فنيين اختصاصيين يختارون من جميع الدول الى الدول المتخلفة اقتصاديا لمساعدتها على دراسة البرامج الاقتصادية والفنية ومساعدة الحكومة المحلية على حل المشاكل التى تعترضها . وفى الادارة المركزية اختصاصيون فى الطاقة الكهربائية وصناعة البترول والشؤون الادارية والسكنى . ويختارون مـن الذين يعرفون تاريخ وحضارة البلاد التى سيشتغلون فيها ويمنع عليهم أن يتدخلوا فى

الشؤون السياسية المحلية وان يشتغلوا بالتجارة ويكلفون بتكويـن اختصاصيين محليين من المواطنين فى البلاد التى يشتغلون بها حتى يتمكن الاختصاصيون المحليون من مواصلة العمل بعد انتهاء مهمة الخبير الاممى ، ويظل الخبير الاممى على اتصال بالهيئة المختصة فى الامم المتحدة التى انتدبته للقيام بهذه المهمة ويقدم لها تقارير عن سير العمل . وقد استخدمت الامم المتحدة منذ سنة 1950 حتى منتصـــف 1960 نحو 10 000 اختصاصى ينتمون لثمانين دولة يقومون بمهمة المساعدة الفنية عند مائة دولة من الدول المتخلفة .



مجلس الامن الدولى فى احد اجتماعاته

ثانيا : المنح لتكوين الاختصاصيين والفنيين . وقد قدمت الامم المتحدة 20 الف منحة فيما بين سنتي 50 و 60 أعطيت لمواطنين ينتمون الى 125 دولة متخلفة .

ثالثا : التجهيز : ولا تمنح مساعدات كثيرة من هـذا النوع وانما تساعد مكاتب الامم المتحدة الدول المتخلفة على اختيار الآلات ومعرفة استعمالها .

ويوجد مكتب في الامانة العامة يسمى مكتب الاعانة الفنية ويقوم بالتنسيق بين المكاتب والادارات التابعة للامم المتحدة والتى تقـوم بالمساعدة الفنية . ولهذا المكتب ممثلون عنه فى كـل دولة تنتفـع بالمساعدة الفنية ، وفى سنة 1960 كان للامم المتحدة 45 مكتبا محليا تهتم بستين دولة ، وهذا الممثل الخاص الذى يرأس المكتب المحلى يهتم بالعلاقات بين حكومة الدولة التى طلبت المساعدة والفنييـن الاممين وبينها وبين الادارة المركزية . ومهمته الكبرى هي مساعدة الدولة المتخلفة على التصميم وتنسيق برامجها السنوية للاعانة .

وهناك اهتمام خاص بالدول التى تستقل حديثا فى افريقيا وهي المجموعة الاولى من خمس مجموعات تتكون منها الدول التى تطلب المساعدة الفنية ـ وفى سنة 1956 كان لافريقيا 8،9 فى المائة مـن برنامج المساعدة الفنية فأصبح الآن 30 فى المائة .

المساعدة الفنية للمغرب

وقبل أن اتحدث عن المساعدة الفنية للمغرب أنقل فقرة من الخطـاب الذي القاه السيد احمد بلافريج وزير خارجية المغرب في الامم المتحدة سنة 1956 قال: «ان المساعدة التي ترجوها بلادي من الامم المتحـدة وخاصة فى الميادين الفنية ستساعد على الوقاية من اي تسلط أجنبى وتمكنه من استغلال ثرواته ومنابع غناءالطبيعية لصالح الشعب المغربى وليست بى حاجة ان أشير لاهمية الاعانة الفنية التى لا تهدف لاغراض خاصة ، وهي الاعانة التى تقدمها الامم المتحـدة للدول المتخلفـة اقتصاديا لاستغلال ثرواتها ومنابعها الطبيعية»

وقد بدأت اعانة الامم المتحدة الفنية للمغرب بعد الاستقلال فى سنة 1956 فأرسلت لجنة خاصة لمدة محدودة لدراسة حاجيات المغرب فى ميدان المساعدة الفنية واعانة الحكومة فى تحضير برنامج لطلب المساعدة الفنية وقد أرسلت الامم المتحدة فنيين فى المسائل الاقتصادية : فى شؤون التصميم وفى المعادن وفى التنمية الصناعية والتجارة الخارجية والصناعة التقليدية . وفى الشؤون الادارية وفى تنظيم الجماعات القروية ، وأرسلت للمغرب ثلاثة من اكبر الاختصاصيين فى دراسة التصميم وقد ساعدوا المغرب على تهيىء التصميم الخماسى .

وهذه هي البرامج التى ساعدت الامم المتحدة المغرب على تحضيرها :

1 ـ فى الميدان الادارى : بدأت المساعدة فى سنة 1958 حينما أخذت الحكومة تفكر فى تغيير نظام الادارة الموروث عن الحماية ووضع نظام ادارى جديد ، ويوجد الآن اختصاصيان فى المغرب احدهما من الادارة المركزية ، ويساعدان الحكومة فى وضع نظام جديد للادارة المغربية .

2 ـ التنمية الصناعية : كانت الامم المتحدة قد أرسلت اختصاصيا واحدا فى سنة 1957 ليدرس امكانيات تحويل صناعة الجلد الى صناعة عصرية والبحث عن أسواق مختلفة وانشاء مدارس لتكوين الصناع وقد نجحت عملية التكوين نجاحا مهما . وقد طلبت الحكومة المغربية من الصندوق الخاص التابع للامم المتحدة عن طريق مكتب الشغل مساعدة مالية وفنية لانشاء مركز وطنى لتكوين مدربين فى صناعة الجلد ، وستكون لهذا المركز فى المستقبل علاقة بمراكز اخرى تهتم بصناعة النسيج وبالتعاونيات

وأرسلت اختصاصيا آخر في مارس 1961 لمساعدة الحكومة في التنمية الصناعية بالمغرب .

3 – فى ميدان المـوارد الطبيعية : وارسلت الامم المتحـدة **اختصاصيا آخر في شؤون المعادن حيث قضى سنة واحدة بـوزارة** الاقتصاد الوطنى كمستشار فى سياسة المعادن . وفى ءاخر السنة قام بدراسة واسعة للموارد الطبيعية وصناعة المعادن ومستقبلها فى



هذه اللوحة الرائعة توجد فى مقر مجلس الامن وقد صنعها فنان نرويجى يرمز بها الى تحرير الانسانية من العبودية واحلال السلام محل الحرب فى عالم الغد.

المغرب ، ومنذ قليل طلبت الحكومة اختصاصيا فى جيولوجية البترول لمدة سنة ، وارسلت الامم المتحدة هذا الخبير لمساعدة الحكـومة في ميدان البحث عن البترول واستخراجه

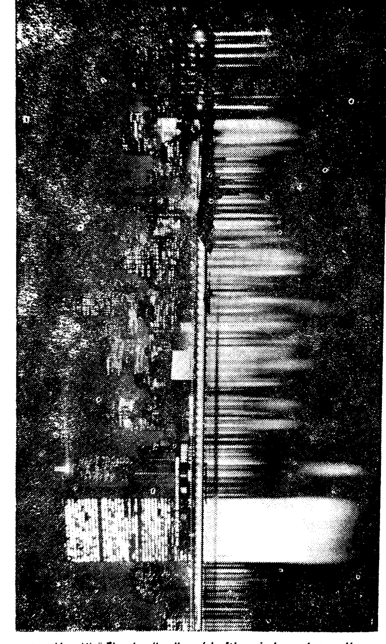
4 ــ الدراسات الاقتصادية : يوجد الآن فى المغرب اختصاصيان احدهما وصل الى المغرب فى مايو سنة 1960 وقد ساعد الحكومة فى الدراسات الاولية للتصميم الخماسى ، والآن يشتغل فى ميدان تنفيذ التصميم الخماسى ، والاختصاصى الآخر جاء الى المغرب فى مايو 1961 ويشتغل فى دراسة برامج التنمية العملية فى نطاق التصميم الخماسى ، ويساعد على الاخص فى دراسة البرامج التى يقوم بها البنك الوطنى للتنمية الاقتصادية .

5 ــ فى الاصلاح القروى : قامت الحكومة المغربيـة فى هـذا الميدان بمشروع نموذجى فى لـلا ميمونة وقـد نجحت التجربـة ، وستوسع الحكومة هذا العمل وتقوم بتجارب مماثلة . وستبعث الامم المتحدة (مجموعة كهربائية) لتستخدم فى للا ميمونة لانارة المدارس وغيرها من البنايات ولرفع المياة من الآبار .

6 ــ الاحصاءات : ارسلت الامم المتحدة اختصاصيا فى ميدان الاحصاءات فى فبراير 1961 ليساعـد فى تهيئة مركـز للدراسات الاحصائية ، ويساعد هذا الخبير فى تكوين هذا المركز وقـد فتح المعهد والدراسة فيه لمدة سنتيـن ، وسيستفيد منـه الافارقـة عموما والامم المتحدة هي التى اعارت للمغرب مدير هذا المركز وتبحث الامم المتحدة الآن عناستاذ لترسله الى المعهد وهي التى تساعد على تجهيز المعهد بالادوات اللازمة . (1)

---

(1) استقيت معلومات المساعدة الفنية للمغرب من احد خبراء الامـم المتحدة الذى قدم لنا هـذه المعلومـات فىمحاضرة القاها فى مقر الامم المتحدة .



جانب من نيويورك فى منظر ليلى والى اليسار بناية الامم المتحدة



مدينتا الجامعات والدبلوماسية

بوسطن وواشنطن مدينتان فرتا من الولايات المتحدة لتتخذا طابعا أوربيا هادئا ، فمعظم مدن الولايات المتحدة كما رأيناها يطغى عليها طابع المنفعة فلا تكاد تجد فيها متعة الفن ولا روعة الاسلوب بقدر ما تجد فيها التسابق نحو المنفعة المادية ولذلك لاتتطلب فى مدينة كنيويورك او شيكاغو ان تجد ميدانا متسعا او حديقة وسط المدينة الا حديقة واحدة فى نيويورك ولا تكاد تقع عينك على شجرة اونافورة ماء الا اذا ابتعدت عن المدينة قليلا حيث الطبيعة فى بعض الضواحي ولكن بوسطن ماتزال تقاوم غزو الحضارة المادية فتحتفظ ببحيرات جميلة وسط غابات ناعمة الظلال ، وتحتفظ بالبحر الهادىء الذي تستمد منه روافد تخترق المدينة الجميلة ، المدينة التى تسابقت فيها الجامعات كما تتسابق الابناك فى نيويورك او شيكاغو فضمت بين احضانها نحو 20 جامعة اربع منها من اكبر جامعات العالم .

وفى هذه المدينة التى لا يتعدى سكانها 700 الف نسمة ينزع الانسان نحو الاحتفاظ بالآثار او ابتداع الفنون الجميلة

تجد مثلا الكنيسة القديمة التاريخية ، وتجد المتحف الفني وتزور باخرة تاريخية حربية بنيت سنة 1912 وتجد مكتبة من اعظممكاتب الولايات ، وتجد اعظم خريطة فنية للعالم وهي عبارة عن كـــرة مجسمة لاتظهر البحار والقارات على سطحها ، ولكنها تظهر فـى جوفها حيث تضيء الانوار الداخلية قلب الكرة فتتيح للدارسيـن ان يشهدوا ـ وهم داخلها ـ كل اجزا العالـم بتدقيق عجيـــب مرسومة على سطح زجاجى ملون

وفى مدينة بوسطن تجد جامعة هارفارد المشهورة التى تضم 16 الف تلميذ وجامعة ماساتشوست وجامعة بوسطن وتجد الـى جانبها 143 معهدا من المعاهد العليا والجامعات ، واحدى هـــذه الجامعات انشئت سنة 1900 وابتدأت يوم انشائها بتلميذين فقط ولكنها الآن تعتبر من اعظم الجامعات .

وينبغي ان نشير الى ان التعليم حر فى الولايات المتحدة وان الجامعات التى ينشئها عادة رجال الديـن او رجال المال تتقاضى الاجور من التلاميذ ، فيدفع التلميذ ما بين 500 و 600 الف فرنكفى العام ، ولكنهم مع ذلك مقبلون على التعليم ، ويستعين الفقراء منهم بالعمل فى مطاعم الجامعة او فى اعمال ليلية اضافية لا تمنعهـم عن مواصلة دروسهم .

والاساتذة فى جامعات بوسطن من أقـل الطبقات الاجتماعية مكسبا فأغلبهم لا يتعدى دخله 600 دولار (300 الف فرنك) فى الشهر . وهي أجرة ضئيلة بالنسبة لمستوى الحياة فى أمريكا ولما يكسبه معظم العاملين فسائق السيارة مثلا لا يقل دخله عن 250 الف فرنك وهي التى تكفى لمستوى حياة طبقته ، ولذلك فأساتذة الجامعات على هذا يعتبرون من ذوى الدخل الضعيف . الا ان ادارة الجامعات ـ فى بوسطـن على الاخص ـ تبني منازل صغيرة وتؤجرها للاساتذة بنصف ثمن اجرها العادى .

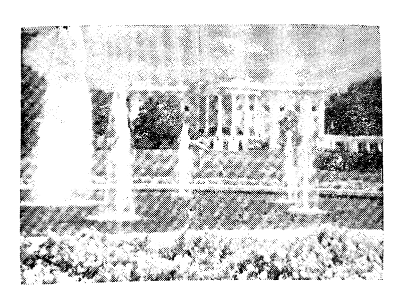
وفى مدينة بوسطن تجد متحفا من اروع المتاحف التى لايكاد يوجد مثيله فى العالم ، انه من انتاج احد الفنانين (واسمهليوبولد) الذي وفر حياته وحياة ابنه (رودولف) لصنع اروع الزهور والورود والنباتات والفواكه ملونة الوانا طبيعية ، وكل ذلك من زجاج شفاف



ازهار من زجاج فى متحف

لا تكاد تؤمن وأنت تراه وتلمسه بأنه زجاج . وقد استغلا عبقريتهما الابداعية فى استخدام الزجاج وتسخيره لمحاكاة الطبيعة ولتسجيل عبقرية الفنان الخلاق .

وهكذا تنقلك مدينة بوسطن من عالم المال والتجارة والسباق المادى الى عالم العلم والفن والجمال . ولكــن طبيعة الامريكييــن تطارد هذا العالم الهادىء ، ففى وسط هذه المدينة — التى تتحدث لك آثارها عن اقدم دار بنيت سكنها رجل مكافح فى سبيل استقلال بلاده والذي امتطى فرسه فى منتصف الليل ليخبر المناضلين بقرب قدوم قافلة من البواخر الانجليزية المهاجمة وكان ذلــك سنة 1775



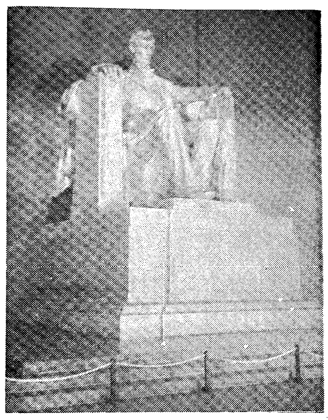
البيت الابيض (مقررئيس الولايات المتحدة) بيت صغير متواضع ولكنه فر من صخب المادة لثوى وسط الخضرة والماء

– فى وسط هذه المدينة تحفر الآن الاسس لبناء ناطحة سحاب من 57 طبقة ، وستكون اعلى بناية فى منطقة بوسطن ، ولكنها مع ذلك ستكون نغمة ناشزة شاذة فى مدينة مايزال ابناؤهـا يتعشقـون جمال البحر وروعة النهر وهدوء البحيرة ، وما يزال زوارها يردون المتاحف والمكتبات والجامعات .

ولا ينافس بوسطن فى هدوئها وجمالها واشراقها الا مدينة واشنطن ، المدينة التى ارتضتها الولايات عاصمة لها ، وتتجه قلوب ابنائها جميعا نحو البيت الابيض والكونجريس والمحكمة العليا فيها، التي تتصرف على الاخص فى اهم ما يربط بين الولايات : المحافظة على الدستور والدفاع عن الوطن وتسيير الشؤون الخارجيـة . ومدينة واشنطن حرية أن تتكفل بهذه المهمات السامية ، انها المدينة التي تحرس رموز السيادة فى الولايات المتحدة ويقوم على التذكير برعاية هذه الرموز النصب التذكارى لواشنطن العظيم اول رئيس وضع الاسس لحماية نظام الولايات وتدعيمه ، والتمثال الفخـم لمحرر العبيد ومؤسس وحدة امريكا ابراهام لنكولن .

وفى مدينة واشنطن لا تحجب عنك ضوء الشمس ونصاعـة السماء الابراج الهائلة من ناطحات السحاب ، ولكنها الميادين المتسعة والاشجار والخضرة والنهر الذي يتخلج المدينة فيكون منهـا جـزرا وبحيرات يهرب اليها عشاق الطبيعة والهاربون من فضول الناس من عشاق الجنس اللطيف .

ورغم ان الادارة الفيدرالية تتركز فى مدينة واشنطن فانك لا تكاد تشعر انها مدينة تقود نصف العالم وتتحكم فى مصير السلم والحرب . فأبواب البيت الابيض والادارات المركزية هادئة وادعة ، ولكن ما بداخلها حركة دائبة ترقب نشاط العالم وتتحكم فى مصير الدنيا .



تمثال ابراهام لينكولن محرر العبيد يقع فى البناية الضخمة التى
أقيمت لتخليد ذكرى لينكولن فى واشنطن

مسجد واشنطن

فى واشنطن وفى حي السفارات الاجنبية منه ـ وهو اجمل أحيائه ـ بنى حديثا مسجد اسلامى أصبح كعبة المسلمين فى جميع أنحاء الولايات المتحدة ، وكعبة المسلمين الذين يزورون هذه البلاد .

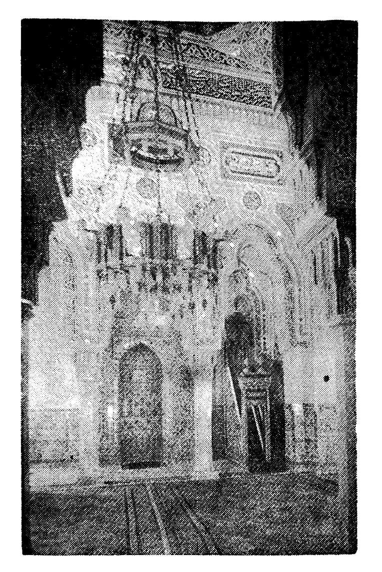
والمسجد على صغره يعتبر من أجمل المساجد الاسلامية وأحفلها بالتحف الفنية ، ويتجلى فيه الـذوق الفنى الشائع فـى المساجـد الاسلامية الشرقية سواء فى البناء أو النقوش التى زينت بها الجدران والسقف أو البسط والزرابي التي فرشت بها أبهاء المسجد .

وقد بنى مسجد واشنطن على أحدث فكرة لبناء المساجد فهو ليس مكانا للصلاة والتعبد فحسب ، ولكنه مركز ثقافى واجتماعى كذلك ، فيه مكتبة للمطالعة تضم بعض الكتب الدينية والدراسات الاسلامية ، وفيه قاعة لتعليم ابناء المسلمين القاطنين بواشنطن واجبات دينهم ، وفيه ادارة منظمة تسهـر على تنظيم محاضرات تتصـل بالثقافـة الاسلامية واجتماعات لعلماء وسفراء المسلمين فى الولايات المتحدة . ومن أجل كل ذلك اصبح مركزا للاتصال وللدراسة والعبادة لجميـــع المسلمين الذين يقطنون أو يزورون الولايات المتحدة الامريكية .

بني المسجد فى سنة 1951 وساهمت جميع الدول الاسلامية فى بنائه ، ونذكر بهذه المناسبة ان مكتب حزب الاستقلال فى أمريكا كان ساعتئذ اتصل بالدول المساهمة وعن طريق المكتب كان جلالـة الملك المغفور له محمد الخامس يرغب فى المساهمة فى بناء المسجد ، ولكن الظروف السياسية التي كان يعيشها المغرب آنذاك ، ثم نـــفي جلالته قد عاق دون تنفيذ رغبته .

وبعد بناء المسجد بدأت الدول الاسلامية تساهم فى ميزانيــة صيانته وتسيير الشؤون الدينية والثقافية التى يضطلع بها ، وتقدم هذه الدول اشتراكا سنويا تقدره حسب مركزها الاقتصادى ورغبتها فى تدعيم مركز اسلامى مهم فى قلب قارة عظيمة الاهمية .

ومسجد واشنطن ليس مركزا للصلاة فحسب ، ولكنه مركـز كذلك للدعاية للعالم الاسلامى ، فهو كسفارة اسلامية فى بلد غير مسلم ، ولهذا يجب الاستفادة من هذا المركز باعتبار المغرب من البلاد الاسلامية الحريصة على مظاهر اسلامها .



منظر من الداخل لمسجد واشنطن ويظهر فيه المحراب والمنبر وهما
تحفتان رائعتان قام بصنعهما صناع من العالم الاسلامى

بورتوريكو
تربط الامريكتين

سان خوان عاصمة بورتوريكو الجزيرة الصغيرة من جـزر امريكا الجنوبية التي ترتمي فى احضان الولايات المتحدة الامريكية

بورتوريكو بلاد الشمس المشرقـة والـجو الـدافـيء ، بـلاد الادغال والغابات والاشجار الكثيفة ، وقد كانت مستعمرة اسبانية ترك فيها الاسبان بعض حضارتهم وجنسهم وطبائعهم وتركوا فيها لغتهم . وهي مع كـل ذلك تتـمتع بجـمال الطبيـعة جـمال البـحر الدافيء الـذى يتسورهـا وينتخلجها ، وجمـال الاشجار الباسقـة والغابات الكثيفة والنباتات المتنوعة والطيور ذات الاصوات الساحرة التي لا يعرفها عالمنا المتوسطى والتي تعذب تلاحينها حينما تهـب انسام الليل وتخف حرارة الشمس .

ولكن جمال الطبيعة لا يحل مشاكل الانسان ، فهذه الجزيرة عاشت كغيرها من اقطار امريكا اللاتينية فـى تخلـف اقتصادى واجتماعى وسياسى ، ذلك مواردها الاقتصادية محدودة جـدا ، وليس فيها معادن ولا مجال كبير للكسب ، وهي جزيرة صغيـرة

لاتعدو مساحتها 100 ميل عرضا و 50 طولا . ويسكنها حوالـــي مليونين من السكان . ميدان العمل امامهم اضيق من ان تسعـه الجزيرة الفقيرة وحتى المجال التجاري ضاق فيها بعـد انسحاب الاسبان الذين كانوا يستغلون الجزيرة ، ومع ذلك كان المواطنون يستفيدون من وراء ذلك فى نشاطهم التجاري .

اهمية استراتيجية

ولكن بورتوريكو اصبحت ذاتاهمية استراتيجية بالنسبـة للولايات المتحدة كأهمية كوبا ، فلحماية قناة باناما لا بد للولايات المتحدة ان تضمن المجال الحيوي فى الجـزر المحيطة بهذا القنـال وبورتوريكو وكوبا فى مقدمتها ، واذا كانت كوبا الان قد تـمـردت واحتفظت بكرامتها عن ان تكون ذيلا او خادمة لمصالـح الدولـة القوية فى القارة الامريكية ، فان اهمية بورتوريكو الستراتيجية قد تضاعفت ، وعناية الولايات المتحدة بها قد زادت عن ذى قبـل . ويقولون ان كينيدى قد زاد فى حساسية الولايات المتحدة ازاء امريكا الاتينية ، ورغبتها فى تدعيم علاقاتها بجمهورياتها الصغيرة .

ولهذا فان رغبة الولايات المتحدة تـزداد يومـا بعد يـوم في التعاون مع كل دول أمريكا اللاتينية ، وهي تبدأ التجربة بالبلاد التى لم تظهر تمردا والتى وجدت نظام الحكم فيها أقرب الى المسايرة وفى مقدمتها بورتوريكو

ويرجع عهد الاتصال الوثيق بين الولايات المتحدة وبورتوريكو (فى الميدان السياسى والاقتصادى) الى سنة 1940 فبعد ان انتصر الحزب الحاكم الان فى الانتخابات كانت الولايات المتحدة وهـــي تتاهب للحرب تتشكك فى نوايا الحزب المنتصر ، ولكـن الرئيس المنتخب بادر بالاتصال بالرئيس روزفيلت وعرض عليه برنامجه الاقتصادى ورغبته فى التعاون مع الولايات المتحدة على انجازه ،

وقد هنأه الرئيس روزفيلت واعتبر انتصاره تحررا للجزيرة وثورة اقتصادية وسياسية ومنذ ذلك الوقت بدا التدخل الامريكي عـــن طريق المساعدة الاقتصادية والتوجيــه الاجتماعــي والسياسى . ويعتبر المسؤولون فى بورتوريكو سنة 1940 بمثابة بداية الثــورة ضد التخلف والفقر فى الجزيرة الصغيرة .

البرنامج الاقتصادى

التصنيع على حساب الفلاحة

ويقوم البرنامج الاقتصادى الذى تنفذه حكومة بورتوريكــو باعانة امريكا وتوجيهها ، على اساس التصنيع فالاراضى الزراعية غير كافية وانتاجها (اهم ما تنتجه قصب السكر) لايغذى شعـــب الجزيرة ، ولهذا كان الاتجاه الى التصنيع شيئا طبيعيا .

وقد واجهت الجزيرة مشكلة راس المال كما تواجهها سائر البلاد الحديثة عهد بالصناعة ، ولكن حكومــة واشنطــن تقدمــت بأموال ضخمة لتمويل المشروعات الصناعية فى البداية مع ما كسبته الجزيرة من اموال اثناء الحرب بتصدير للخمور من نوع (الــروم) وكانت تصدر منه كمية هائلة اثناء الحرب الى الولايات المتحدة على الاخص .

وقد قدر ما دفعته الحكومة الامريكية لتجهيــز بورتوريكــو بصناعة حديثة بنحو 25 مليار دولار

انشئت فى هذه المدة عدة معامل مهمــة انشأ الامريكيــون منها نحو 700 معمل ، منها معامــل للسكر والثيــاب والاحذيـــة والاسمنت والورق والحديد . وقد قدر ما يصرف على الصناعة فى ميزانية هذه السنة بنحو 325 مليون دولار فى الوقت الذي انفــق على الفلاحة 200 مليون فقط .

والمشكلة الكبرى التى واجهت التصنيع فى الجزيرة هـــي التجهيز فعند ما بدأ البرنامج الامريكي للتصنيع فى الجزيرة كـان التجهيز المادى لايحتمل عملا صناعيا مهما وذلك مـن حيث النـور الكهربائى والطرق والماء واطارات التسيير المحلية ولهذا بدا عمل التصنيع من الصفر .

ويقوم التصنيع على أسس تصميم خاص تشـرف علـيه ادارة التصميم وقد انشىء مجلسها العام منذ نحو 20 عاما . ومن اهـــم هيئات هذا المجلس الهيئات المحلية التى تهتم بتطبيق البرنامـــج المحلي بالتعاون مع البلديات . ومجلس التصميم له هيئة تشريعية خاصة هي التي تصدر القوانين الخاصة بتنفيذ التصميم وتصنيـــع البلاد

وبالاضافة الى ادارة التصميم انشئت فى بورتوريكو سنـة 1950 ادارة للتنمية الاقتصادية ، وتقوم هذه الادارة بشراء الاراضى لاقامة المعامل والاشراف علـى تجهيـز المعامـل والادارة ورؤوس الاموال التي تنفق عليها . وفى هذه الادارة مكتب للابحاث الصناعية ـ وهو ما يقابل مكتب الابحاث والمساهمات الصناعية بالمغـرب ـ ويقوم بدراسة المشاريع والتعرف على اهميتها وما تحتاجه البلاد منها .

والمنظمة الثالثة التى تـهتم بالتجهيز الاقتصادى هــي بنـك الحكومة للتنمية الاقتصادية . وقد بدأ هذا البنك عمله منذ النهضة الاقتصادية فى سنة 1941 وتطور تطورا محسوسا فـى سنة 1948 والبنك هو الذي يمول المشروعات الصناعية الحديثة . ويعمل فـى تضامن كامل مع ادارة التصميم ومكتب الابحاث .

نشاط سياحى

وتعزز هذه الحركة الاقتصادية فى بورتوريكو بنشاط سياحي مهم ، فقد ساعد جمال الطقس والدفء الذى تتمتع به الجزيرة طول

السنة على تدفق السائحين وخاصة فى فصل الشتاء ، حيث يفر الامريكيون على الاخص من عواصف الثلج وزمهرير البرد القارس الى شواطىء بورتوريكو لينعموا بالسباحة فى شهور ديسمبر ويناير وفبراير وقد نقل الامريكيون معهم بيئتهم فانشئت فنادق امريكية رائعة فى سان خوان وربطت العاصمة بخط جوي مع اغلب المطارات الامريكية ، وفى بضع ساعات ينتقل ساكن نيويورك من عاصفة الثلج الى الشاطيء الهادىء الممتع فى سان خوان

والسياحة تدر على البلاد أموالا طائلة تقدر بستين مليون دولار فى العام ، وبذلك اصبحت من اهم موارد الثروة فى بورتوريكو

اما الميزان التجارى فما يزال غير متعادل وتجارتها مع الولايات المتحدة ـ واغلب تجارتها معها ـ اكبر دليل ، فهي اذ تصدر لها 500 مليون تستورد 800 مليون ولعل ذلك طبيعي بالنسبة لدولة متخلفة صناعيا ، وتعتمد في تجهيزها على دولة قوية مصدرة .

وقد زاد هذا النشاط الاقتصادى من الدخل الفردى للمواطنين فتطور من 121 دولار سنويا فى سنة 1941 الى 625 دولار فى سنة 1961

وعاد النشاط الاقتصادى على الميزانية وعلى مستوى الحياة الاجتماعية بما فيها الصحة والتعليم بفائدة كبيرة . وتقدر ميزانية التسيير لبورتوريكو هذا العام بنحو 240 مليون دولار يخصص ثلثها للتعليم اما ميزانية التجهيز فالحكومة الفيدرالية الامريكية هي التى تتبرع بها وتنفق فى البناء والاشغال العامة والتجهيز الصناعي .

واستفاد الاستقرار الاجتماعى من هذا النشاط الاقتصادي فقدكان المواطنون فىبورتوريكو يهاجرون الى مناطق العمل وبالاخص الولايات المتحدة ، ويقدر القاطنون منهم فى نيويورك وحدها : 700

الف اغلبهم ذهب بعد سنة 1950 ، ولكن عدد المهاجرين بدا يقـــل نظرا لوجود العمل وانخفاض عدد العاطلين . ويــقــدر المسؤولون البطالة بنحو 20 فى المائة من اليد العاملة ، وتقوم وزارة الشغــل بدراسة برامج لمقاومة البطالة وتكوين العمال تكوينا فنيا يساعدهــم على وجود العمل

كومنويلت ام ملحقة ؟

ونعود الى الوضع السياسى لبورتوريكو ، وقــد تعمدنــا ان نلقي نظرة على الوضـــع الاقتصادى أولا لان مـــا أوضحناه يسهـــل على القاريء تصور الوضعية السياسية التي اصبحت الآن تتضح اكثر من اي وقت مضى .

والمسؤولون فى الولايات المتحدة وفى بورتوريكو يعتبـــرون الجزيرة جزء من الكومنويلت الامريكي ، ولكنها فى الحقيقة اكثر من (كومنويلت) ذلك ان استقلالها عن الولايـــات المتحدة محـــدود بدرجة كبيرة . فحكومة واشنطن هي التي تسير الخارجية والدفاع والمواصلات بما فيها البريد ، وبورتوريكو الى جانب ذلك لا يمكنها ان تصدر قانونا او مرسوما يتناقض مع القوانين الفيدرالية ، اي نفس الشيء الذي تمنع منه اية ولاية من الولايات المتحدة . ولكــن بورتوريكو لا تتمتع بما تتمتع به الولايات لانها ماتزال مستقلـــة (استقلالا داخليا) .

وبالاضافة الى الشؤون الخارجية والدفاع والبريد نجــد ان الشؤون الاقتصادية والمالية لاظل للاستقلال فيها ، وقد عـــرفنا ان ميزانية التجهيز تمولها واشنطن وتساعد كذلك فى تمويل ميزانية التسيير : وبالاضافة الى ذلك فبورتوريكو ليست لها عملة خاصـــة ولكن الدولار الصادر عن بنك الاصدار الامريكي هو العملة الرسمية فى بورتوريكو .

فماذا بقي اذن من مظاهر الاستقلال ؟

لايكاد ينكر احد ان وجود الدستور وحاكم الجزيرة والوزراء والوزارات المختلفة لايدل على ان البلاد مستقلة ولكن ما مستقبل هذا الوضع ؟

اما المنظمات السياسية فأغلبها غير راضية عن الوضع وهي مختلفة فى وجهة النظر . فهناك منظمة تطالب بالاستقلال الكامـــل ويصفها المسؤولون بانها يسارية متطرفة تستمد افكارها من المنبع الذى استقى منه كاسترو . وهذه المنظمة ولو ان لها اتباعا من بين طبقات الشعب الا ان نفوذها السياسى ضعيف وهي محاربـــة وليس لها صوت مسموع فى البرلمان .

وهناك نزعة اخرى تطالب بان يتمتع بورتوريكو بالاستقلال مــع بقائه متحدا مــع الولايــات المتحدة تحت نظــام يشبه نظــام الكومنويلث

والنزعة الثالثة تطالب بان يصبح بورتوريكو ولاية من الولايات المتحدة يتمتع بنفس الحقوق التى تتمتع بها سائر الولايات . وتقوم نظرية هذه النزعة على اساس واقعي ، فبورتوريكو فــى نظرها لا يمكن ان يستقل اقتصاديا للاسباب التي ذكرنــاهــا . والاستقلال الصوري ليس له مدلول ، ولذلك يجب انهاء هذه الوضعية غيـــر الطبيعية واقامة وضعية سليمة تعيد للبلاد اعتبارها .

والشعب حائر بين هذه التيارات وبين واقعه والمستقبل الذي لايستطيع التكهن به . فهو يدرك ان وضعه الاقتصادى قد تحســن واذا كان يعانى غلاء فاحشا فى الاسعار لا يتفق مع دخله القومى ، فانه يدرك ان وضعه الاقتصادى قد تحسن عن ذي قبل ، وان ابواب العمل والكسب قد فتحت فى وجهه ، وان اي انفصال عن الولايات المتحدة قد يعود به القهقرى الى حياة البؤس والتخلف .

فهل يبيع استقلاله بلقمة الخبز التي يكسبها ؟
تلك علامة الاستفهام التى ترتسم فى ذهن كل مواطن ولعله لا يستطيع ، أو هو ينهرب ، من الاجابة عنها .

فى ميامى

ما اجملها منية تتحقق ...!

وما أروع الحلم الذي تجعل منه الحياة واقعا بين يديك بعد أن كنت تنظر اليه بعيدا بعيدا فى عالم الاحلام

كل رواد الافلام السينمائية تراود احلامهم زيارة ميامي ، وكلهم يتطلعون الى نقاء هوائها ونصاعة ضوئها وزرقة سمائها ، وكنها تظل راسبة فى احلامهم العميقة لان ميامى بلد المال .... والمال فى امريكا له مدلول آخر غير مدلوله فى الشعوب المتخلفة بل وحتى الشعوب المتطورة . فالمال الذى تتطلبه زيارة ميامى ليس هو المال الذى تتطلبه زيارة بلد آخر فى العالم .

من بورتوريكو انتقلنا الى شبه جزيرة فلوريد احدى الولايات الامريكية في الطرف الجنوبي الشرقي من شمال القارة الامريكية ، انتقلنا الى المحيط الاطلسي ، وكأننا بذلك نحاذي الشواطيء الغربية لهذا المحيط حيث تثوي الدار البيضاء والرباط وحيث الاهل والاصدقاء وحيث عمل هناك ينتظرنا أن نعود اليه وننتظر . . .

جوهرة فلوريدا هي ميامي البلد الذى صنعت منه الطبيعة معجزة وصنع فيه الانسان معجزات ، انها تتنكر لجو القارة الامريكية وشمال هذا الشاطىء على الاخص تنتقل اليها فتتخلص من عنف الجو فى بورتوريكو ومن قساوة الحياة فى هذا البلد الذى يعيش فى تخلف وهو على أبواب النمو ويعيش فى نمو شبه مصطنع وهو فى قلب التخلف .

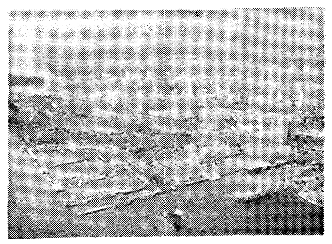
ميامي الاغنية الجميلة على لسان كل امريكي ، وزوارها من الامريكيين أنفسهم يدعون الى الاحترام لانهم عادة من الذين أتاحت لهم وفرة المال مزيدا من الوقت والراحة والفراغ ما ينتقلون به الى ميامى ليعبوا من جمالها ويشعروا بنوع من الحياة لذيذ غير الذي ألفوه في نيويورك او شيكاغو أو حتى في بوسطن وسان فرانسيسكو

وميامى مجموعة جزر تصلها طرق وجسر رائعة حطم فيها الانسان قوة الماء الدافقة ليجعل من الجزر المفرقة الذائبة فى احضان الغابات ، مراتع لهو ومتعة ونعيم ينسى فيها انسان القرن العشرين متاعب الحياة وشقاء الكد فى سبيل المادة .

ومن الانهار والبحيرات والجداول التى تشق المدينة جعل الانسان اجمل متعة فى الحياة يتيحها للمتعبين من جدية الحياة وقوتها .

فى الوقت الذي امتنعت علينا مطارات نيويورك وواشنطن بالعواصف الثلجية استقبلتنا ميامي كالعروس باسمة الثغر بهية الطلعة مشرقة الوجه ، فى جوها نعومة واشراقة ووضاءة وفى شمسها حيوية يقظة وفى سكانها هدوء الطبع ورحابة الصدر وعذوبة الحديث ، ومهمتهم فى الحياة تدعوهم لان يكونوا كذلك فهم لايعيشون الا من السياحة ، واتقانهم لفن السياحة جعلهم ينصرفون عن كل ما يتعب الامريكيون فيه انفسهم ، فلا مصانع

ولا معامل ولا مضاربات ، وانما هو العمل الهادىء الذى يتيح الحياة الهادئة المتكاسلة التى لا سباق فيها الا السباق فـى سبيل المتعـة والاستمتاع بجمال الطبيعة وبهجتها .



منظر من الجو لجانب من مدينة ميامى

مطار ميامى كان كخلية نحل لاتقلع طائرة حتى تحط طائرات وقد يدهشك ان تنظر من بعيد ، فترى عشرات الطائرات تحلق فوق المطار تنزل متتابعة ، وعشرات اخرى تقلع متتابعة ثم تسمع مـن سكان المدينة بأن موسم السياحة لم يبدأ بعد ، فهـو يبدأ مـع اشتداد عواصف الثلج فى شمال القارة ، ووسطها وهو يبدأ عادة مع اعياد الميلاد وراس السنة ، فيزيد اندهاشك من قدرة هذه المدينة على ان تستهلك روادها وكلهم ضيوف يقضون اياما او أسابيع فى حضن المدينة الرائعة

وتتجلى فى ميامى قدرة الامريكي على العمل ، فالمدينة منذ نصف قرن لم تكن شيئا مذكورا . كذلك قالت السيدة العجوزصبيحة

الوجه التي قضينا معها نصف ساعة لطيفة فى الحافلة التى نقلتنا من ميامى بيتشن (المدينة الجديدة) الى ميامي المدينة القديمة . جاءت السيدة وهي شابة الى المدينة مع المهاجرين الاوائل من أمريكيين وأروبيين وأسيويين ولم يكن شيء مما يكون المدينةالحالية موجودا ، وانما كانت اكواما من الرمال وغابات من الاشجار والحشائش ومئات المستنقعات ، ثم اخذت يد الانسان تصنع من كل هذه المادة اجمل مدينة فى العالم . وتقول السيدة : ان المدينة نشأت تحت انظارها ، وانها كانت تدهش اذ تجد فى كل زورة للمدينة الحديثة اجمل عمارة تحتل اوحش فراغ .

على شاطىء المحيط الازرق وفى طريق شاطئية تمتد على مسافة عشرات الكيلومترات تقبع اجمل فنادق العالم واكثرها رفاهية ومتعة وهدوء ، وكانت هذه الفنادق تخوض معركة سباق فى الابداع والتجديد والفخامة والذوق السليم ، وتدخل الفندق فيبهرك تأثيثه الفاخر وصالاته الفسيحة الضخمة المنوعة ، وطراز كل منها الذي يختلف عن طراز الآخر ، وتصعد درجات تسلمك الى صالونات الموسيقى أو قاعات الاكل الفخمة الرائعة ، وتنزل اخرى فاذا بك فى حديقة غناء تنتهي بمسبح يسعيض به هواة السباحة طول فصول السنة عن صخب البحر ومتاعب رماله ، وباب من أبواب الحديقة تسلمك الى سوق الفندق لتقتني منه اجمل الملابس وأنفس الجواهر والحلى والاعلاق ، او ماشئت غير ذلك مما تدفعك الحاجة أو الرغبة الى شرائه ، وفى الفندق مسرح يغنيك عن ان تطوف فى ارجاء البلد تطلب السهرة او المتعة . وقد شهدنا اجمل استعراض وأروعه للانزلاق على الجليد تظهر فيه البراعة والمقدرة والفن والروح المرحة ، انه يسعى بين يديك ليمتعك بسهرة لذيذة فى فندق سكناك .

وتدخل الصالات الفرهة فتجد قوما غير الذين عهدتهم فى نيويورك او واشنطن : رجالا ونساء كبار السن باديى الرفاهية والغنى ، قليلى النشاط والحيوية ، يتحدثون فى بطء وهمس ، ويجلسون فى اطمئنان باد ، لاتتعبهم الاعمال ولا تقلقهم المواعيد ولا المعاملات ، الفندق فى نيويورك او شيكاغو سوق للمعاملات لايقل عن الشارع حركة وضوضاء وفتنة ، وهو فى ميامى نزل للراحة يبتعد رواده عن كل ما يرهق اعصابهم ، ومن ثم كان اكثر رواد البلد من الذين انطفأت شعلة الحيوية فى نفوسهم فاستراحوا الى غناهم والتجأوا الى جوهرة الاطلسى يمتعون نفوسهم بما يملكون عشرات من افخم فنادق الدنيا على (كورينش) ميامي وتسأل :

اتجدكلهذه الفنادق روادهاوالقادرين على انيعبوا من رفاهيتها؟ ويجيبك الواقع : انها تعج جميعا بالزائرين ، والموسم السياحى لم يبدأ بعد ، وفى غير الموسم يدفع الساكن ستين دولارا لينام فى احد مخادعها وعشاق ميامي يحجزون المنازل قبل الموسم بشهور ليجدوا حظهم فى احد هذه الفنادق .

لم تشذ ميامي عن كل انحا الولايات المتحدة من حيث تنوع سكانها ، فيهم الامريكيون والاوروبيون بكل جنسياتهم والصينيون والهنود ، وفيهم العرب كذلك . دخلنا عدة دكاكين كان اصحابها يتحدثون الانجليزية بلكنة اجنبية ، ويتحدثون الفرنسية والاسبانية قليلا، وأثرنا انتباههم ونحن نتحدث العربية فكانت تلك وسيلتنا لاكتشاف أنهم عرب من سوريا ولبنان أو فلسطين، ووجدنا احدهم وهو شيخ ما تزال فيه قوة من شباب ونشاط من رجولة ، يحاول ان يتحدث معنا بفرنسية مكسرة ، واستفسرناه عن جنسيته فضحك ثم قال بعربية شامية : انني عربي من حلب ، تاجرت فى نيويورك ولكني لم اقو على صراع العمل فيها بعد ان كبر سني ورشد أبنائى وانطلقوا فى متاهات الحياة ، فانتقلت الى هذا البلد الجميل

الوادع قد اربح فيه اقل من نيويورك ولكني اصرف اقل ، وابـذل جهدا اقل مما تتطلبه حياة نيويورك . فرجل فى مثل سني يحتاج الى هدوء الاعصاب ، وذلك مالم تتحه لى نيويورك

وسوق ميامي سوق المدن السياحية فيه الطرائف والهدايـا، ولكنه ملتقى لكل صناعات الدنيا ، والصناعة اليابانية على الاخص التى تتلطف فتكتب على صناعاتها «فلوريدا» وليس لها من فلوريدا الا انها تباع فى أسواقها .

قضينا ليلتين فى ميامى وكنا على موعد مع الطائرة عصـر اليوم الثالث ، ولم تكن هناك اية قوة تستطيع ان تمد فى البرنامج وتستجيب لرغبتنا الجامحة بان نظفـر بمتعة اكثر فـى جوهـرة فلوريدا ، وكان حديثنا الهازل يمتد الى تدبير مؤامرة للفرار من مستر سميث منظم الرحلة لنتركه يعود وحده الى واشنطن حيث الصقيع والجليد ، ولكنها منية كنا نمني بها النفس والمستحيل مما تمني به النفس فى كثير من الاحيان .

واغتنمنا اللحظات التي تفصلنا عن موعد الطائرة فنزلنـا المسبح بعد حمامات الشمس الدافئة . نتمتع بمياهه العذبة ونحقق المعجزة ، معجزة السباحة فى شهر ديسمبر .

وأطل مستر سميث من غرفته وهو يضحك ضحكته المدوية:

ـ اما آن لكم ان تستعدوا للسفر ؟

وهتفنا جميعا :

ـ لحظات أخرى يامستر سميث ، فلن نسبح مـرة اخـرى قبل ستة اشهر ...

وزادت ضحكاته قوة وهو يقول :

ـ لكم عندى بشرى ... لن نسافر اليوم فتمتعوا ما شئتـم بسياحتكم .

وهتفنا جميعا :

ـ يحيى مستر سميث .

وضحكت المترجمة الصغيرة وهي تقول :

ـ لا تصدقوا انه يهزل ...! مستر سميث ... كيف جاز لك ان تعابث الجماعة ... لقد مالوا الى تصديقك .

وامتلات اشداق مستر سميث بضحكة مدوية اخرى :

ـ اني جاد لاهازل ، ان واشنطن الان تحت رحمة عاصفة ثلجية ، وقد اخبرنني شركة الطيران ان الطائرات جميعها قد الغت رحلاتها الى واشنطن وستتاح لكم ليلة اخرى فى ميامى ...

قالها وقفز قفزة رائعة الى المسبح ليلاعب الشباب ـ وهو شيخ وقور ـ كرة الماء

فلسفة امريكا الاقتصادية

كانت الرحلة التى قمت بها الى الولايات المتحدة رحلة دراسية اكثر منها سياحية ، وكان الجانب الذى اعتنى به منظمو الرحلة هو الجانب الاقتصادى على العموم والصناعى منه على الاخص . وقد اتيح لى ان اطلع على كثير من مظاهر الاقتصاد الامريكى نظريا وعمليا ، واتيح لى كذلك ان اعرف الطرق التى تعالج بها الولايات المتحدة المشاكل الاقتصادية ، والفلسفة العامة لتوجيه الاقتصاد الامريكى . وقد استطعت ان اطبق هذه النظريات على المشاريع الاقتصادية التى امكننى التعرف عليها وعلى الحياة الامريكية عموما

وتعد الفترة التى تعيشها الولايات المتحدة من الناحية الاقتصادية اكثر الفترات ازدهارا واحفلها بالنشاط فى الداخل والخارج ، فقد عرفت الولايات المتحدة ازمة اقتصادية شديدة قبل الحرب ، وجاءت فترة التمهيد والاستعداد للحرب ثم الحرب وما عقبها من تصفية المخلفات الثقيلة ويمكن ان نقول ان العقدين الماضى والحالى هما العقدان اللذان تنفست فيهما الولايات المتحدة

الصعداء ، وتحررت من تبعات الازمات وانطلق اقتصادها فـــى طريق الازدهار الكامل .

المذهب الحر فى اجلى مظاهره

والاقتصاد الامريكى يعتمد على المذهب الحر الذى يقوم على المنافسة وحرية الانتاج والتبادل والابتكار الفردى والجماعى وحرية الاستيراد والتصدير .

وهذا المذهب لم تصطنعه الدولة ولم تفرضه جماعة او حزب وانما هو منبعث من الحياة الامريكية ومن طبيعة الشعب الامريكى المختلف العناصر والاجناس ومن اتساع رقعة الولايات الامريكيـــة وتنوع مظاهر النشاط الاقتصادى فيها ، سواء فى المجال الاستهلاكى او المجال الاستثمارى .

وممارسة الشعب الامريكى للاتجاه الحر فى الاقتصاد جعلت هذا الاتجاه يصبح مذهبا ذا اصول وقواعد وجعلت الدولة تلتـــزم بحمايته ، اذا كانت لم تساهم فى وضعه او ابتكاره .

ومن المفيد ان نشير قبل ان نتحدث عن هذه الاصول والمبادىء الى ان هذا المذهب اذا كان يتفق وطبيعة الشعب الامريكى وحاجياته وامكانياته الوافرة ومستوى معيشته ، فقد لايتفق مع مصالـــح وحاجيات وامكانيات شعوب اخرى . والمذاهب الاقتصادية ليست بضاعة تنقل من مستهلك الى آخر . وانما هي وسيلة تخدم حاجيات الشعوب ، وتوفر لها الازدهار والارتفاع بمستواها . وكل شعـــب يختار من هذه المذاهب اقصرها كطريق تصل به الى الازدهار والنمو وهذا هو سر اختلاف المذاهب الاقتصادية واختلاف تطبيقها من بلد لآخر ، بل هو سر نشوء هذه المذاهب وتنوعها . .

وتقوم السياسة الاقتصادية الامريكية على الاسس الآتية :

1) حــريــة الانتــاج

لا تتدخل الدولة مطلقا فى توجيه الانتاج فى الولايات المتحدة. بل انها تترك الفرصة للمواطنين ليبتدعوا ويبتكروا كل ما يستطيعون انتاجه مــن وسائل الحياة الضرورية او الكمالية سواء فــي مــواد الاستهلاك او مواد الاستثمار .

والولايات المتحدة لاتقدر حاجياتها ، وتوجه الانتاج حســب هذه الحاجيات ، ولكنها تترك الحرية تعمل عملها ، وتترك التنافس الحر يعمل عمله فى الانتاج ، وكل منتج مهما تكن قدرته علـــى الانتاج يبحث عن سوقه ، وهو يعرف مقدما ان قوة الطاقة الشرائية، فى بلد ضرب الرقم القياسى فى ارتفاع مستوى الحياة ، تجلبله كثيرا من المستهلكين .

ولا شك ان هذه الحرية مع ما يصاحبها من قــوة الاستهلاك انتجت مشروعات اقتصادية كبيرة ومتنوعة سواء فى القطاع الكبير أو فــى القطاع الصغير . وقــد يستغرب الباحث مــن وفرة هــذه المشروعات وقدرتها على الانتاج .

ولا نحتاج الى ضرب الامثال فالصناعة الامريكية المــزدهرة هي المثل الواضح فى كثرة المشروعات وازدهارها .

وحرية الانتاج ادت الى الكثرة والتنوع . وكان ذلك فى صالح المستهلك الذى يبحث عن الجودة ولكنه فى المقدمة يبحث عن رخص الاثمان وقدرتها على تلبية حاجياته المتعددة . فالمستهلــك امــام حرية الانتاج وكثرته يجد امامه مجالا واسعا فى اختيار عدة انواع ويقوم اختياره على اساس الاصلح والاحسن والارخص .

وهذه الحرية افادت فائدة كبرى ، فقد زادت فى تقوية الطاقة الشرائية عند المستهلكين ، ولهذا تجد الامريكى مهما يكن دخلــه

يأكل اكلا نظيفا مغذيا ويتمتع باغلب وسائل الرفاهية وقلما يخلو بيت من ثلاجة وراديو وآلة تلفزيون وآلات التسخين والتبريد .

واذن فحرية الانتاج جعلت الاقتصاد الامريكى يعتمد على نظرية اساسية هي بالاضافة الى زيادة الانتاج وتخفيض الاثمان جودة البضائع وتنوعها .

والانتاج على ذلك لا يخضع لاي قيد الا القيود الاقتصادية التى يراعيها المنتجون ليحققوا مبدأ رخص الانتاج . فهم ينتجون اينما كانت تكاليف الانتاج ارخص والعوامل الاساسية لرخص الانتاج هي عوامل واحدة فى الاقتصاد سواء فى الولايات المتحدة أو غيرها من الدول وهى :

١) القرب من الطاقة الكهربائية :

وتنوع الطبيعة فى الولايات المتحدة من الجبال والسهول والوديان جعل انتاج الطاقة بنسبة ضخمة فى مختلف الولايات وجعل الطاقة الكهربائية من ارخص المواد الاولية . بل ان بعض المعامل تنتج لنفسها هذه الطاقة باختيارها اماكن واقعة على شواطىء انهار فتنشىء سدودا اصطناعية صغيرة ، وتنشىء الى جانبها مولدات كهربائية وبذلك تزيد فى رخص الطاقة المستهلكة . وقد زرنا نموذجا من هذا العمل فى قرية (ويستن) بالقرب من مدينة بوسطن حيث يقوم معمل مهم للنسيج ينتج نحو 700 الف متر فى الاسبوع ويشغل نحو الف عامل وعاملة وهو فى ذات الوقت ينتج الطاقة الكهربائية لنفسه .

٢) اثمان المواد الاولية :

فالانتاج يخضع لرخص اثمان المواد ، والمنافسة تكثر فى الانتاج الذى يعتمد على مواد اولية رخيصة .

3) أجور اليد العاملة :

واذا كانت اليد العاملة تلعب دورا فى كل بلد صناعى فانهـا فى الولايات المتحدة تلعب دورا اساسيا ، ولعلها اغلى مادة تدخل فى الصناعة ، فالعامل المدرب يتراوح اجره بين 1.50 و 2.50 دولار 750 و 1250 فرنكا فى الساعة) ولهذا فالصناعة تبحث عن مناطق رخص اجور اليد العاملة ولعلها لاتجد ضالتها اذا ما راعت الشروط الاخرى لرخص الانتاج ، فالمناطق الصناعية كلها مناطق ذات قـوة شرائية هائلة ومستوى فى الحياة رفيع ، وهذا المستوى يرفع من ثمن اليد العاملة ، ولذلك فرخص اليد العاملة شرط غيـر متوفـر للصناعة الامريكية .

4) ثمن اكتراء الاموال

فأكثر الصناعات لا تقوم بنفسها ولكنها تعتمد على الابنـاك الممولة ، والشركات المنتجة تكترى المـال كما تكتـرى المركز مثلا ، وللاموال المكتراة حصتها من الارباح وكل ذلك يدخل فى تكاليـف الانتاج ولهذا تجد الصناعة تبحث عن الثمن الذى تكترى به الاموال قبل الاقدام على الانتاج . ولاشك ان ثمن كراء الاموال يختلف مـن صناعة لاخرى . فالبنك مثلا لا يمكن ان يمول صناعة مجال المنافسة فيها متسع قوى .

5) قوة الاستهلاك :

فالانتاج يخضع لقوة الاستهلاك ، والبضاعة التى تتوفر على نسبة كبيرة من المستهلكين ـ فى الداخل والخارج ـ تجد مجـال المنافسة فيها قويا . ويكثر الانتاج بنسبة تعادلية مع كثرة الاستهلاك.

تلك هي العوامل الاساسية لكثرة الانتـاج ورخصه ، واذا كانت عوامل اقتصادية طبيعية فهي ظاهرة اجلى ظهور فـى البـلاد التى تتمتع بحرية الانتاج كالولايات المتحدة .

وحرية الانتاج ادت الى صراع هائل بين المنتجين فتنوع الانتاج وكثر ، ولكن الدولة والمنتجين انفسهم لايخشون عواقب هذا الصراع ، فهم مؤمنون بقدرتهم على الكفاح ، وهم مؤمنون بنظرية البقاء للاصلح ، وهم يتصارعون فى الانتاج وفى غزو الاسواق ويظهر انهم جميعا صالحون ، ولهذا فالانتاج لا يزيد الا كثرة وبقدر كثرة الانتاج يكثر الاستهلاك .

واذا كانت الدولة لا تخشى عواقب الصراع ، فانها تحمى هذه الحرية ، وتقاوم الاحتكار ، فليس لاحد ولا لشركة ما ان تحتكر نوعا من الصناعة او نوعا من الانتاج ، وقد قدمت الحكومة شركة جينرال موتور الى القضاء لانها حاولت ان «تؤمم» لصالحها صناعة التبريد .

حرية الاستيراد والتصدير

والاساس الثانى الذي تقوم عليه السياسة الاقتصادية الامريكية هو حرية الاستيراد والتصدير .

أما حرية التصدير فلا تحتاج الى تعليق ، ذلك ان الولايات المتحدة بلد منتج ، وانتاجه يتمتع بالحرية الكاملة المطلقة ، وهو انتاج يفيض عن حاجة المستهلكين من السكان ، ولذلك فالتصدير لايخضع لاي قيد الا القيود التجارية العادية التى توضع كأساس للمبادلات التجارية بين اي بلد وآخر أو بعض القيود السياسية التى قد تمنع التصدير لبلد علاقته السياسية مع امريكا تجتاز مأزقا حادا كالعلاقات الحالية بينها وبين كوبا .

أما حرية الاستيراد فى الولايات المتحدة فانها تستمد اساسها من المذهب الحر الذى يتمتع به الاقتصاد الامريكى . ومن اجل ذلك فليس هناك اي قيد يحد من الاستيراد المطلق ، بل ان التنافس هو الاساس الذى يخضع له المستوردون والبلاد التى يستوردون

ميتة ولا واقفة ، وانما هي تسير فى تصاعد كامل مع ازدياد السكان والانتعاش الاقتصادى الداخلى .

والولايات المتحدة تضع مبادلاتها التجارية على هذا الاساس، فهيفى حاجة الى تضاعف هذه المبادلات بمقدار تضاعف الانتاج والاستيراد الحر الذى قدمنا الحديث عنه يعتبر وسيلة من وسائل تنمية المبادلات التجارية .

وسيلة سياسية

الولايات المتحدة تتزعم علم الغرب ، وتقف من أجل ذلك فى وجه التيار الشيوعى وجها لوجه ، ولذلك فهي فى حاجة الى ان تعبىء كل قواها لتقف صامدة فى الصف الذى تقف فيه .

والاقتصاد ـ دون شك ـ فى مقدمة هذه القوى .

والولايات المتحدة تريد أن تجعل من اقتصادها أداة لانعاش البلاد التى تحتاج اليها فى مقاومة التيار الشيوعى سواء فى أوروبا أو فى غيرها من المناطق .

فأوروبا الغربية مثلا هي الخط الامامى فى الجبهة ضد اوروبا الشرقية التى يتزعمها الاتحاد السوفياتى ، ولذلك فهذه المنطقة اذا كان من الضرورى ان تقوى عسكريا فمن الآكد كذلك ان تقوى اقتصاديا، ولهذا فهي تريدها منطقة لرأس المال الامريكى ، وللانتاج الامريكى ، وكلما توحدت هذه المنطقة بأي شكل من اشكال التوحيد الاقتصادى أو العسكرى أو السياسى ، فالولايات المتحدة ترغب فى أن يكون لها النفوذ الاكبر . وتصدير انتاجها لهذه المنطقة احد وسائل هذا النفوذ .

وبنفس الروح السياسية تعمل الولايات المتحدة لتصدير انتاجها الى المناطق الاخرى غير الاوربية وخاصة الى البلاد الحديثة والمتخلفة اقتصاديا . فهي تعرف أن هذه البلاد مستهلكة أكثر مما هي

منتجة وهي فى حاجة الى التجهيز والتكوين والاعمار ، وحياتها فى طريق النمو ومقاومة التخلف ــ فهي سوق رابحة مربحة ، ثم هي مجال للمنافسة القوية ، وكما انها فى السياسة مجال للحرب الباردة فهي فى الاقتصاد مجـال للاستغلال تتجاذبها الـدول الاستعمارية القديمة ، والـدول الصناعية الحديثة والـدول الشيوعية ، ولذلـك فالولايات المتحدة ينبغى ان تلقى بقوتها الصناعية فى الميزان لتصبح هذه الاسواق مجالها الحيوى الى ما يستقبل من عشرات السنين .

وعمل الولايات المتحدة فى كسب السوق فى الدول المتخلفة لا يعتمد على الصراع فى السوق فحسب ، ولكنه يخضع للطريقـة الامريكية فى خلق المجالات الحيوية ، فقد عرفنا أن الانتاج لا يكون بغير تمويل داخـل الولايات المتحـدة ، وان الشركات التى تنشـأ والمعامل التى تجهز لا ينتظر اصحابها أن يكون عندهم المال ، اذ المال فى نظرهم وسيلة لا تزيد فى اهميتها عن أية وسيلة أخرى ، ويمكن اكتراؤه كما تكترى الارض ، وهذه النظرية تطبق كذلك فى الخارج ، فأمريكا تهيىء هذه الوسيلة للدول المستوردة والتى لا تملك المـال الضرورى لذلك .

ورغم المساعدات والقروض التى تقدم للدول المتخلفة والتى يشترط فيها بصورة أو بأخرى أن تصرف فى نوع خاص من التجهيز ، ولا يكون هذا التجهيز فى الغالب الا من الولايات المتحدة نفسها ، رغم ذلك فقد أنشأت عدة مؤسسات لمساعدة طاقة التصدير على استنفاد أهدافها وخاصة بين الدول المتخلفة . ومن هـذه المؤسسات المكتب الحر للمساعدات التقنية ، ومهمة هذا المكتب القيام بدراسة الاسواق ولكن على نطاق عملى لا تجارى . فدراساته تنصب على التعرف على البـلاد وأهميتها الاقتصادية ومبلـغ التنمية الصناعية فيها ، ومـا تحتاجه من صناعات ، ورغبة الدول والمؤسسات الخاصة فى التجهيز التقنى والصناعى

وتلك فى نظر المذهب الامريكى احسن وسيلة لازدهار الاقتصاد .

امريكا لاتحمى صناعتها المحلية

واذا كانت الحكومة لم تضع هذا المذهب ، ولم تفرضه على الاقتصاد الامريكى ، فهي – استجابة لاتجاه الامريكيين وتجربتهم الناجحة – تحمى هذا المذهب الحر فى التبادل . والجمرك هو العدو الاول لهذا المذهب ، ولذلك لاترفع تكاليف الديوانة باسم حماية الصناعة المحلية ، والبضائع المنتجة فى امريكا لاتؤدى فى الديوانة اكثر من البضائع العادية التى لاتنتج فى الولايات المتحدة . بل ان الولايات المتحدة تعتبر رفع التكاليف الديوانية حماية مصطنعة لا تؤدى الى ازدهار الصناعة الامريكية ، بل انها خطر اكبر على اقتصاد البلاد الذى يقوم على اساس الحرية التجارية والتبادل الحر.

والولايات المتحدة بهذا الاتجاه تحقق مبدأ اقتصاديا هاما هو مبدأ التعادل بين الهدف والوسيلة ، فالهدف من الاقتصاد هو الازدهار والارتفاع بمستوى حياة المواطنين ، والوسيلة الى ذلك هي تيسير الحياة المتقدمة للمواطنين بتقديم انتاج جيد متنوع بثمن رخيص . فاذا تحققت هذه الوسيلة بالانتاج المحلى فذاك . واذا كان هناك انتاج آخر – وليكن اجنبيا – يضع الوسيلة فى يد المواطنين فتلك اقرب طريق للازدهار المنشود .

نتائج فلسفة

ويمكن ان نلخص النتائج المستخلصة من الفلسفة الاقتصادية الامريكية ، سواء فى الانتاج او فى التبادل التجارى فى النقط الآتية :

١) ارتفاع مستوى الحياة . فقد ضربت الولايات المتحدة الرقم القياسى فى مستوى المعيشة والقدرة الشرائية عند الفرد .

٢) كثرة الانتاج وتحسينه ، فالمنافسة تدفع الـى بذل جهود اقوى وجهود متنوعة وتسير فى سلم تصاعدى نحو الاجادة والاتقان

وقد أدى ذلك الى كثرة الشركات وتنوعها . ويقوم الاقتصـاد على كاهل هذه الكثرة والتنوع ، حتى أصبحت أمريكا بسبب ذلك ميدانا هاما لتجربة المشاريع الناجحة ولكل مشروع انتاجى تنشأ عشرات الشركات الضخمة الهائلة ، ولا احتاج أن أقول ان هـذه الشركات لا تقوم الا على أساس اقتصادى صحيح ، والدراسة هي وسيلة نجاحها . لا تقوم الشركة الا بعد دراسة الحاجة والسـوق ، والعوامل الاقتصادية والمالية لنجاح المشروع وايجاد الفكر المدبـر والهيئة المسيرة .

ويكفى أن أضرب المثل على الشركات المنتجة بنموذج هـام جدا هو شركة صناعة وبيع المواد الغذائية للدجاج . لم تنشأ هـذه الشركة حتى درست قيمة التغذيـة فى الارتفاع بمستوى انتـاج الدجاج فى أمريكا ودرست كذلك امكانية تغذية الدجـاج بأغذيـة كيماوية الى جانب الاغذية الطبيعية ، واثر كل ذلك فى نمو الدجاجة ووزنها وفائدة لحومها الغذائية . وللقيام بهـذه الدراسات اصبحت للشركة معامل وعلماء كل عملهم هو البحث العلمى فى المخابر ، الى جانب مصانع الانتاج والتعبئة . وقد اصبحت هذه الشركة تمول دجاج الولايات المتحدة بالمواد الغذائية . ويكفى للدلالة على أهميتها انها تشترى من المواد الاولية مليونين من الدولارات فى الاسبوع أي ما يعادل ٩ ملايين دولار فى الشهر (٤ مليارات و ٥٠٠ مليون فرنك تقريبا) اليس ما يأكله الدجاج يعادل ميزانية دولة ..؟؟

ولكن الفائدة الواضحة من عمل هذه الشركة هي كثرة انتاج الدجاج ورخصه وجودته الغذائية حتى ان الدجاج أرخص مـادة غذائية من نوع اللحوم فى الولايات المتحدة .

3 — فائدة المستهلكين : المنافسة تحد من الاحتكار ومن فرض الاثمان لصالح أرباح المنتج على حساب المستهلك وبذلك يستفيد المستهلك من تخفيض الاثمان والتقليل من أرباح الخواص .

4 — المساعدة على الابتكار ، فالمنافسة الحرة تدفع بالعقل الى التفكير فى الوسائل التى لم يستطع الخصم استخدامها وفى مشروعات جديدة تصمد للمنافسة القوية .

تلك هي المظاهر العامة للفلسفة الاقتصادية الامريكية فى عنصرى الانتاج والاستيراد

دعائم التجارة الخارجية للولايات المتحدة

ومن العناصر الاساسية فى الفلسفة الاقتصادية الامريكية التصدير ، وهو العنصر الاساسى المكمل للانتاج والاستهلاك .

واذا كانت الولايات المتحدة تقيم أود اقتصادها على كثرة الانتاج وحريته وخلق مجالات التنافس بين المنتجين فان الاستهلاك وتشجيعه ليس هو وحده الذى يستنفد طاقة الانتاج وانما هناك التصدير بصورته الواسعة هو المجال الحيوى للانتاج — وهو الذى يمتص الطاقة العجيبة التى تتمتع بها الولايات المتحدة فى الانتاج .

ويقوم التصدير على فلسفة خاصة شأن سائر مظاهر الاقتصاد الامريكى ، وعلى اساس هذه الفلسفة تبنى نظم التجارة الخارجية للولايات المتحدة .

ويمكن أن نلخص هذه الفلسفة فى الاسس الآتية :

الحرية

وحرية التصدير أساسها من المذهب الحر الذى يقوم على أساسه الاقتصاد الامريكى ، واذا كان الانتاج حرا غير موجه والاستيراد حرا غير موجه ، فان التصدير كذلك حر لا تتدخل

الدولة فيه الا بتدخل القوانيـن أو الاتفاقيات التى تنظـم تجارتها الخارجية . ومعنى ذلك ان الدولة لا تحرم مثلا تصدير مادة من المواد الخام باعتبارها أساسا من الاسس الصناعية التى يحتاجها الانتاج الامريكى ، لا لان هذه المواد فوق حاجة الصناعة الامريكية فحسب ، ولكن ايضا لانها تستورد ما تحتاجه منها بنفس الحرية التى تنتجه، فهي اذن غنية بالمواد الخام انتاجا واستيرادا . ولذلك فهي ليست فى حاجة الى تقنين هذه المادة .

وهي كذلك لا تحرم تصدير المواد المصنوعة ، فصراع الانتاج يجعلها في غنية عن الاحتكار أو التقنين في الاصـدار ـ وهـي مـن أجل ذلك لا تخشى مطلقا أزمة من الازمات ولا قلة فى المواد .

واذا كانت السياسة تتدخل فى بعض الاحيان فتمنع التصدير لبعض المناطق التى ليست على أتفاق مـع الولايات المتحدة فانهـا مناطق قليلة لا تكاد تؤثر فى ميزان التصدير

المبـادلات التجـاريـة

والاساس الثانى هو فتح المجال أمام المبادلات التجاريـة . فدولة صناعية منتجة كالولايات المتحدة تملأ الاسواق بمنتجاتها لتزيد من قوة الانتاج ، ولترفع مستوى الحياة وتضمن قوة الطاقة الشرائية عند المواطنين وبالتالى لترفع من مستوى الحياة عندالشعب الامريكى ثم اخيرا لتضمن الحياة للزيادة الهائلة فى السكان عن طريق الولادة والهجرة ، ولو لم يكن التصدير يستنفد طاقاته كلها لنقصت طاقـة الانتاج . وفى دولة صناعية كبرى كالولايات المتحدة تقدر طاقـات الانتاج بالنقط ، وفى خسارة نقطة واحدة يظهر شبح الازمة وخمر الجهاز الاقتصادى بما يتبعه من بطالة وبؤس .

ولتوازن الدولة اقتصاديا تبحث عن الوسيلة الفعالة للموازنـة بين طاقة الانتاج وطاقة التصدير مع العلم بأن طاقة الانتاج ليست

ميتة ولا واقفة ، وانما هي تسير في تصاعد كامل مع ازدياد السكان والانتعاش الاقتصادي الداخلي .

والولايات المتحدة تضع مبادلاتها التجارية على هذا الاساس، فهي في حاجة الى تضاعف هذه المبادلات بمقدار تضاعف الانتاج والاستيراد الحر الذى قدمنا الحديث عنه يعتبر وسيلة من وسائل تنمية المبادلات التجارية .

وسيلة سياسية

الولايات المتحدة تتزعم علم الغرب ، وتقف من أجل ذلك فى وجه التيار الشيوعى وجها لوجه ، ولذلك فهي في حاجة الى ان تعبىء كل قواها لتقف صامدة فى الصف الذى تقف فيه .

والاقتصاد — دون شك — فى مقدمة هذه القوى .

والولايات المتحدة تريد أن تجعل من اقتصادها أداة لانعاش البلاد التى تحتاج اليها فى مقاومة التيار الشيوعى سواء فى أوروبا أو فى غيرها من المناطق .

فأوروبا الغربية مثلا هي الخط الامامى فى الجبهة ضد اوروبا الشرقية التى يتزعمها الاتحاد السوفياتى ، ولذلك فهذه المنطقة اذا كان من الضرورى ان تقوى عسكريا فمن الآكد كذلك ان تقوى اقتصاديا، ولهذا فهي تريدها منطقة لرأس المال الامريكى ، وللانتاج الامريكى ، وكلما توحدت هذه المنطقة بأي شكل من اشكال التوحيد الاقتصادى أو العسكرى أو السياسى ، فالولايات المتحدة ترغب فى أن يكون لها النفوذ الاكبر . وتصدير انتاجها لهذه المنطقة احد وسائل هذا النفوذ .

وبنفس الروح السياسية تعمل الولايات المتحدة لتصدير انتاجها الى المناطق الاخرى غير الاوربية وخاصة الى البلاد الحديثة والمتخلفة اقتصاديا . فهي تعرف أن هذه البلاد مستهلكة أكثر مما هي

منتجة وهي فى حاجة الى التجهيز والتكوين والاعمار ، وحياتها فى طريق النمو ومقاومة التخلف ـ فهي سوق رابحة مربحة ، ثم هي مجال للمنافسة القوية ، وكما انها فى السياسة مجال للحرب الباردة فهي فى الاقتصاد مجـال للاستغلال تتجاذبها الـدول الاستعمارية القديمة ، والـدول الصناعية الحديثة والـدول الشيوعية ، ولذلـك فالولايات المتحدة ينبغى ان تلقى بقوتها الصناعية فى الميزان لتصبح هذه الاسواق مجالها الحيوى الى ما يستقبل من عشرات السنين .

وعمل الولايات المتحدة فى كسب السوق فى الدول المتخلفة لا يعتمد على الصراع فى السوق فحسب ، ولكنه يخضع للطريقـة الامريكية فى خلق المجالات الحيوية ، فقد عرفنا أن الانتاج لا يكون بغير تمويل داخـل الولايات المتحـدة ، وان الشركات التى تنشأ والمعامل التى تجهز لا ينتظر اصحابها أن يكون عندهم المال ، اذ المال فى نظرهم وسيلة لا تزيد فى اهميتها عن أية وسيلة أخرى ، ويمكن اكتراؤه كما تكترى الارض ، وهذه النظرية تطبق كذلك فى الخارج ، فأمريكا تهيىء هذه الوسيلة للدول المستوردة والتى لا تملك المـال الضرورى لذلك .

ورغم المساعدات والقروض التى تقدم للدول المتخلفة والتى يشترط فيها بصورة أو بأخرى أن تصرف فى نوع خاص من التجهيز ، ولا يكون هذا التجهيز فى الغالب الا من الولايات المتحدة نفسها ، رغم ذلك فقد أنشأت عدة مؤسسات لمساعدة طاقة التصدير على استنفاد أهدافها وخاصة بين الدول المتخلفة . ومن هـذه المؤسسات المكتب الحر للمساعدات التقنية ، ومهمة هذا المكتب القيام بدراسة الاسواق ولكن على نطاق عملى لا تجارى . فدراساته تنصب على التعرف على البـلاد وأهميتها الاقتصادية ومبلـغ التنمية الصناعية فيها ، ومـا تحتاجه من صناعات ، ورغبة الدول والمؤسسات الخاصة فى التجهيز التقنى والصناعى

وليس من شك فى ان هذا المكتب يمهد الطريق ويضع امـــام الحكومة مفاتيح لخلق مجال للصناعة الامريكية .

ومن هذه المؤسسات كذلك بنك التصدير والاستيراد . وهـــو بنك للدولة تقريبا ـ على قلة ابناك الدولة ـ فما يزال مجلس ادارته يعين بقرار من الرئيس وبمصادقة مجلس الشيوخ . ومهمة هـــذا البنك الاعانة المالية وتسهيل التبادل التجارى بين الولايات المتـــحدة والدول النامية . وقد انفق هذا البنك عشرات الملايير من الدولارات لتمويل مشاريع الدول التى تستورد من امريكا ، وهو يقوم بهـــذا التمويل فى شكل قروض للحكومات والشركات والاشخاص الذيـــن يقومون بتجهيز البلاد المتخلفة او انشاء الصناعات فيها .

ولست فى حاجة الى القول بان ترقية المستـــوى الاقتصادى العام لهذه الدول المتخلفة تستفيد منه امريكا لانه يربط الصناعات الناشئة فى هذه الدول بالانتاج الامريكى ، ولانه يجعل هذه الدول كذلك مدينة لامريكا والمدين لا يمكن ان يفكر فى غيردائنه . ومنثم تستفيد طاقة التصدير الامريكية اسواقـــا جديـــدة لضمان انتعاش الانتاج وقوته الدائمة .

وبالاضافة الى ذلك فان الولايات المتحدة تستفيد من جهـــة اخرى فى تقوية المقاومة للشيوعية فى هذه البلاد المتخلفة ، وتبعد بها عن مجال اوربا الشرقية .

تلك هي الاسس التى تقوم عليها الدعامة الثالثة لـــلاقتصاد الامريكى وهي دعامة التصدير او التجارة الخارجية . وقد راينـــا انها مظهر قوى للانتعاش الاقتصادى لايستخدم الوسائل التجارية التى تستخدمها الدول عادة فى تجارتها الخارجية ، ولكنه يتعاون كذلك مع السياسة لضمان الازدهار فى الميدانين معا .



مشكلة الملونين

قضية السود من المشاكل المعقدة فى الولايات المتحدة الامريكية وهي واقع اجتماعي لم يستطع الامريكيون حتى الان التغلب عليه رغم افكار الحرية التي اصبحوا يومنون بهـا ، ولا نعتقد انهــم يستطيعون الانتصار على واقعهم الا بعد اجيال ان هم صمموا العزم منذ اليوم على التغلب عليه .

فالسود فى الولايات المتحدة اقلية كبيــرة ، ولكنها اقليــة محرومة من كثير من الحقوق التي تساويها بالاكثرية ، بل انــهــا تخضع فى بعض الولايات لقوانين الميز العنصرى التي لاتعطى حقوق البيض لمواطنيهم السود ، فهم محرومون من حق الاختلاط بالمواطنين البيض ببعض الولايات فى المدرسة والنادى والقطار . وهم اجتماعيا محرومون من التمتع بنفس المستوى الثقافى ومستوى العيش والعمل والكسب . لهذا فاغلبيتهم لايصلون الى مركز ثقافى يؤهلهم لعمل ممتاز ، واغلبيتهم يقومون بأعمال وضيعة فــى المطــاعــم والفنادق والقطارات والمطارات كمنظفين وحمالين ومساعدين لخدمة المطاعم

ورغم ان كثيرا منهم قد استطاعوا بفضل جهودهم وكفاحهم ان يصلوا الى مركز مالى متوسط ، فانهم ما يزالون معزولين عن الحياة الاجتماعية للسكان البيض .

وقد استطاعوا فى كثير من الولايات ان يكافحوا ضد الميز العنصري فاقر لهم القانون حقوقهم كاملة ، ومنها حق التعليم مثلا فى المدارس التي تؤمها اغلبية البيض ، ومع ذلك فانك لاتكاد تجد فى مثل هذه المدارس الا اقلية قليلة جدا ، ولعلها تقبل فى المدرسة بصفة رمزية حتى لاتتهم الولاية بانها لا تنفذ القانون ، والمدارس الى جانب ذلك تبذل جهودها حتى لاتقبل الكثيرين بين صفوفها .

وما تزال كثير من النوادي والمطاعم والمقاهي بل وحتى دكاكين الحلاقين تمنع قبول السود اما ايمانا بالعنصرية او خوفا من ثورة البيض ومقاطعتهم .

ورغم ان روح التمرد على هذا الواقع قد انتشر بين السود، وبين بعض البيض ممن يحملون افكارا تحررية ، فوقعت احداث متعددة من مصادمات وعصيان مدني يعلنه السود مثلا ، ومن احتلالهم لبعض المدارس او المطاعم احتلالا سطحيا حتى تخرجهم الشرطة بالاكراه ، رغم كل ذلك فان اغلبية السود يخضعون للواقع فينعزلون فى احيائهم ويؤمون مدارسهم وكنائسهم ومساجدهم ، ويرضون بواقعهم الاجتماعي فيكافحون بؤسهم بالطرق الضيقة التى ما تزال بين ايديهم .

اعقد من عنصرية

والمشكلة فى جوهرها اعقد من انها مشكلة عنصرية فان تقادم الكراهية ضد الملونين جعل منها مشكلة نفسية من الصعب تعليلها او تحليلها ، ويظهر ذلك فى طبقة المثقفين مثلا . ان كثيرا

منهم يومنون بافكار ديمقراطية سليمة ، وكثير منهم لايومنون بالعنصرية الجنسية ويقدسون الحرية الفردية والجماعية ، ولا يعتقدون ان السود إقل ادراكا او اقل صلاحية من البيض ومع ذلك تجد فى نفوسهم نفورا منهم لاعلة له ، وقد قص على استاذ فى احدى الجامعات قصة سيدة مثقفة ثقافة ممتازة وتومن بافكار تحررية كاملة ، بل انها تومن بافكار ضد العنصرية خاصة فيما يتصل بالملونين ، لهذه السيدة خادم سوداء تثق فيها وتدع لها اطفالها تعني بهم وتربيهم . وتقوم الخادم بشؤون المطبخ وتنظيف المنزل والتسوق ، والسيدة تحبها حبا جما لاخلاصها ووفائها وحسنها الممتازة . ومع ذلك كله فهي لاتبيح لها ان تتناول طعامها فى أواني المنزل ، وهي من اجل ذلك تحمل اوانيها معها فى غدوها ورواحها

هذا اللون من الاشمئزاز لاتستطيع السيدة نفسها ان تعلله، ولا تستطيع ان تحمل نفسها على التخلص منه ، وقل مثل ذلك فى كثير من المثقفين الذين لايعرفون لماذا يشمئزون من السود ، وقل مثل ذلك فى اغلبية شعوب الولايات المتحدة ، الذين ماكان اجداد بعضهم يكرهون السود عندما قدموا من اوربا او ايرلندا او كندا ، ولكنهم اصبحوا اليوم يشعرون بنفس الاشمئزاز الذي يشعر به الامريكيون الاقدمون (نسبيا) والذين كانوا يستغلون العبيد استغلالا شائنا فى فلاحة الارض واستثمار ثرواتها .

وتبلغ المشكلة ذروتها عند هؤلاء الذين يجدون انفسهم فى واقعهم منفصلين عن معتقداتهم وافكارهم التحررية . وتبلغالمشكلة ذروتها كذلك عند بعض المسؤولين الذين لايرضون لبلادهم انتحتفظ بهذا الطابع العنصرى ، وهم مع ذلك لايستطيعون ان يقوموا بواجبهم فى القضاء على الطابع العنصرى فى البلاد .

عنصرية سوداء

وتحاول ان تبحث عن رد الفعل عند السود ، هل هناك أفكار عنصرية ضد البيض ؟ فتجد الجواب سهلا عند بعض السود أنفسهم ، وعند بعض الذين يدرسون المجتمع الامريكي . ان التمرد الناجم عن اضطهاد البيض لهم وشعور بعض المثقفين والذين ارتفع مستوى حياتهم باهميتهم الانسانية ، ان كل ذلك خلق فى بعض الطبقات منهم عنصرية ضد البيض ومع العنصرية الكراهية ومحاولة التخلص من عقدة الامتياز للبيض عن السود . وقد ظهرت هذه العنصرية حتى في الادب الذي يكتبون. واقرأ قصص الكاتب الامريكي الاسود الشهير ريتشارد رايت، فتجد في وصفه الرائع الحي لصراع الملونين عنصرية سوداء غريبة وتجد النقمة من البيض تظهر في أدب عبقري فاز بشهرة واسعة في العالم .

جماعات مسلمة

وقد بدأ السود يتجمعون حول مذاهب اجتماعية او دينية والمسلمون منهم يكونون جماعة قوية وخاصة فى شيكاغو ويتبعون اماما له فهم خاص للاسلام ، وقد جمعوا اموالا مهمة لبناء مسجد ومن ورا كل ذلك تحاول هذه الجماعة ان تسترد للسود اعتبارهم ويقول بعض البيض ان الفكرة العنصرية قوية بين هذه الجماعة على ان بعض خدم الفنادق الثانويين او مساعدى الخدم على الاصح كانوا يستشفون من حديثنا بالعربية اننا مسلمون ، وهم يحتالون فيحيوننا بكلمة : (..سلام عليكم.. آيام مسلم «انا مسلم» .) ولعلهم لم يستطيعوا غير ذلك فقد كانوا يهمسون بها سرا وفى حذر كامل

وليس من شك فى ان هذا المكتب يمهد الطريق ويضع امـام الحكومة مفاتيح لخلق مجال للصناعة الامريكية .

ومن هذه المؤسسات كذلك بنك التصدير والاستيراد . وهـو بنك للدولة تقريبا ـ على قلة ابناك الدولة ـ فما يزال مجلس ادارته يعين بقرار من الرئيس وبمصادقة مجلس الشيوخ . ومهمة هـذا البنك الاعانة المالية وتسهيل التبادل التجارى بين الولايات المتـحدة والدول النامية . وقد انفق هذا البنك عشرات الملايير من الدولارات لتمويل مشاريع الدول التى تستورد من امريكا ، وهو يقوم بهـذا التمويل فى شكل قروض للحكومات والشركات والاشخاص الذيـن يقومون بتجهيز البلاد المتخلفة او انشاء الصناعات فيها .

ولست فى حاجة الى القول بان ترقية المستـوى الاقتصادى العام لهذه الدول المتخلفة تستفيد منه امريكا لانه يربط الصناعات الناشئة فى هذه الدول بالانتاج الامريكى ، ولانه يجعل هذه الدول كذلك مدينة لامريكا والمدين لا يمكن ان يفكر فى غيردائنه . ومنثم تستفيد طاقة التصدير الامريكية اسواقـا جديـدة لضمان انتعاش الانتاج وقوته الدائمة .

وبالاضافة الى ذلك فان الولايات المتحدة تستفيد من جهـة اخرى فى تقوية المقاومة للشيوعية فى هذه البلاد المتخلفة ، وتبعد بها عن مجال اوربا الشرقية .

تلك هي الاسس التى تقوم عليها الدعامة الثالثة لـلاقتصاد الامريكى وهي دعامة التصدير او التجارة الخارجية . وقد راينـا انها مظهر قوى للانتعاش الاقتصادى لايستخدم الوسائل التجارية التى تستخدمها الدول عادة فى تجارتها الخارجية ، ولكنه يتعاون كذلك مع السياسة لضمان الازدهار فى الميدانين معا .



ملامح من الحياة الامريكية

أمريكا بلاد متفتحة والامريكيون قوم متفتحون . قد يكون من الصعب ان تدخل امريكا لتعقد الاجراءات الادارية التى تتخذ قبل ان يسمح للاجنبى ان يلج باب الولايات المتحدة ، وللحرص الصارم والمراقبة الدقيقة فى كل مرفأ بحرى او جوى ، ولكنك متى اصبحت داخل الولايات فقد اصبحت سيد نفسك يستطيع مجهودك الشخصي ان يجعل منك او من احد ذريتك رئيس الولايات المتحدة دون ان تحملك الى ذلك معجزة او بساط سحرى .

ومن ثم كان اكثر الذين يبذلون من نشاطهم ما يدفع عنهم غائلة التسكع يصبحون مواطنين امريكيين ويحصلون على الجنسية الامريكية ، ولو اختلفت ديانتهم او جنسهم او لغتهم حتى اصبحت الولايات المتحدة برج بابل ، تدخل دكاكين متجاورة فيحدثك اربابها بالصينية او اليابانية او المغربية او الشامية او ماشئت من لغات الارض وتجد بينهم المسيحي واليهودي والمسلم والبوذي والوثني وتسأل :

ـ هل انت امريكي ؟

ـ شور ...! أي بالتأكيد .

ولكن شيئا واحدا لايختلف فيه هـذا عن ذاك هـو النشاط والعمل واستغراق كل الطاقات والجهود فى سبيل النجاح ومصارعة العراقيل والعقبات .

الالة تنافس الانسان

العجلة والاستعجال فى كل شيء دفعتهم الى الاعتماد علـى الآلة فى تخطى لحظات الزمن ، فأنت هنا او فى الدنيا المتأنية التى تسير على مهل تركب السيارة لتستغل وقت المشي في عمل او راحة وبنفس الفلفسة ينظرون هناك فى امريكا الى كل حركاتهم : الآلة تختصر لك ابعاد الزمن ، وتغنيـك احيانا عـن استعمال اليـد او استخدام انسان يتطلبه عمل آخر .

تحتاج مثلا الى ورقة بريد فتقدمها لك آلة وتاخذ نسبتهاالمائوية فى نظير الخدمة التى قدمتها .

وتدفع ثمن بضاعة فترد لك الآلة الباقى دون ان يضطر العامل أو العاملة الى عد او حساب . وتصل المطار لتركـب طائرة مثـلا فتجد آلة بجانبك تقوم بعملية «تأمين» على حياتك او بضائعك تدفع لها فتمنحك (بوليسة) التامين دون حاجة الى موظف خاص .

وتجوع او تعطش او تشتاق الى دخينة فتتقدمَ الى آلة لتمنحك أكلا أو فاكهة أو لبنا او مشروبا باردا او علبة سجائر .

فالآلة اصبحت طاقة زائدة تنافس العمال وتزيد فـى مشكلـة البطالة ، وقد دخلت فى حياة الرجل الامريكى حتـى اصبح يشق عليه مثلا ان يدفع الباب لينفتح له ولكن الاداة الكهربائية تغنيه عن ان يستخدم يده أو يتمهل فى السير ليدفع الباب بكتفه ، فلا يكاد يقترب منه حتى ينفتح له ليدخل او يخرج دون عناء .

الطائرة الوسيلة الاولى

فى أوربا ما يزال القطار والحافلة الوسيلة الاولى للمواصلات ولكن الامريكى يستخدم الطائرة كما نستخدم نحن الحافلة ، فبين المدن الكبيرة والصغيرة على السواء آلاف الطائرات تملأ كل دقيقة وكل ثانية من اوقات المطار ، وانت واجد الطائرة فى كل ساعة من ساعات الليل او النهار لتنقلك حيث شئت من اجزاء الولايات . وفى الخطوط الداخلية لست فى حاجة الى حجز تذكرتك بل اذهب للمطار واركب الطائرة ان وجدت مكانا وادفع للمضيفة اجرة الركوب كما تدفع مثلا فى الحافلة التى تنقلك الى مكان عملك وقد لايعجبك نوع الطائرة او شركتها ـ وانت محصل على ورقتك من قبل ـ فانتظر لتركب طائرة اخرى قادمة بعد لحظات معدودات

وتدخل مدينة صناعية صغيرة مثلا ، هى مدينة فى عرفنا وهى قرية بالنسبة للمدن الآهلة الكبيرة فى الولايات ، وهى مع ذلك مجهزة بمطار اكبر من مطار الدار البيضاء واكثر نشاطا وحركة ، فالطائرات فى بساطه كسيارات الاجرة الصغيرة فى موقفها كل منها ينتظر دوره ليطير ، او هو طائر فى سمائها ينتظر دوره ليحط الرحال .

خذ قهوتك وامش

وطابع امريكا السرعة واستغلال الزمن للانتاج : الادارات تعمل اليوم جميعه من التاسعة حتى السادسة مساء باستثناء ساعة فى الظهر يرتاد الموظفون والموظفات والعمال والعاملات المقاهى ـ ولا أقول المطاعم ـ ليأكلوا اكلا خفيفا (ساندويش مثلا) ثم يعودون الى مراكز عملهم دون عناء ، وبعض الادارات والمعامل والجامعات تهيىء مطاعم صغيرة لموظفيها وعمالها واساتذتها وطلبتها

تقدم فيها الاكلة الخفيفة ليعود كل الى عمله دون ان يضيع وقتــا أو نشاطا .

ومن ثم لاتكاد تجد المقاهي مملوءة الا في اوقات الغــداء أو العشاء ، أما في غير ذلك فخذ قهوتك وامش ... اترك مقعدك لغيرك فليس الوقت وقت راحة وقتل زمن ، ولكنه وقت عمل ، لاتجد فيه المقهى الذى يتيح قتل الوقت ، ولكنك تجد المقهى الذى يتيــح لـــك قهوة وماء مثلجا فى صميم الشتاء .

واغلب المطاعم لاتقدم خمورا فــى اوقات الاكــل ، والمشروب الرئيسى مع الاكل هو القهوة بمسحوق الحليب ، انها قهوة رديئــة لا طعم لها ولا لذة فيها، ولكن الامريكي لا يأكل ولو اكلا دسما بدونهــا وتقدم كما يقدم الماء دون حساب لعدد الطاسات التى يشربها الزبون ولهذا فالامريكيون فى طبقتهم المتوسطة لا يشربون الخمر الا لماما، لاتجد مشارب الخمور منتشرة كما انــت واجدها فــى فــرنسا او اسبانيا أو ايطاليا مثلا ، وان وجدت فروادها قليلون . وصخبهـــا معتدل ، والسكارى والمعربدون فى الشوارع فى قلة تسترعـــى الانظار ، ولكن الوضعية تختلف حينما تدخل المجتمعات الوضيعة أو المجتمعات الراقية ، فالملونون الفقراء يعربدون وتنم آثار شوارعهم فى الصباح عن ليالى معربدة صاخبة ، ولاتعــدم معربدين فـــى الساعات الاولى من النهار ، وقد مررنا بشارع من شوارعهم بسان فرانسيسكو ، مررنا فى سيارة متطلعين الى مظاهر البؤس فـــى فضول ، فاغتاظ احدهم من العاطلين المتسكعين ، والتقط قارورة من بقايا الليلة الصاخبة ليقذفنا بها فى عنف لولا ان سرعــة السيارة حالت دون اصابة الهدف .

والوسط الراقى يقضى سهراته كما يقضيها الاروبيون فــى المراقص والمطاعم الفخمة ، وصالات الفنادق المهمة حافلة دائمـــا

بالطبقة الراقية التى يبلغ بها السكر احيانا حد الصخب ، وكثيرا ما كنا نلتقى فى مصاعد الفنادق برواد هذه المراقص : شبان وشابات ماتزال الكؤوس فى ايديهم وايديهن وماتزال ارجلهم وارجلهن تهتز على نغمات ماتزال تطن فى رؤوسهم ورؤوسهن وتهفو النفوس فى شوق فيبدأ العناق والقبل تمهيدا لما بعد الخلوة فى الغرفة المنتظرة ...

تبرع لتحتفظ بكرامتك

وانت فى امريكا فى حاجة الى نصيحة هي ان تضع فى ميزانيتك ثلاثين فى المائة من مصروفك للتبرع على كل من يقدم لك خدمة : منذ نزولك من الطائرة تدفع لحامل الحقائب الاجرة المقررة ثم تبرعا قد يصل الى ثلاثين فى المائة ، ثم لسائق سيارة الاجرة او حافلة شركة الطيران ، ثم لخادم الفندق وهو يحمل حقيبتك ولخادم القهوة او المطعم ولعاملة التليفون ولكل من تربطك به صلة عمل .

حذار ان تتأخر عن التبرع ...! والا طولبت به فى شيء من العنف والازدراء ... وحذار ان تدفع القليل ، والا رد على وجهك لتسمع كلمة نابية تفهمها ولو كنت لا تتحدث الانجليزية ...!!

البقشيش ... كلمة اشتهرت فى الشرق العربى وفى مصر على الاخص ، ولكن مداولها الحقيقى يتمثل فى فرنسا وامريكا ، فالحياة لا تسير هناك بغير البقشيش ...!

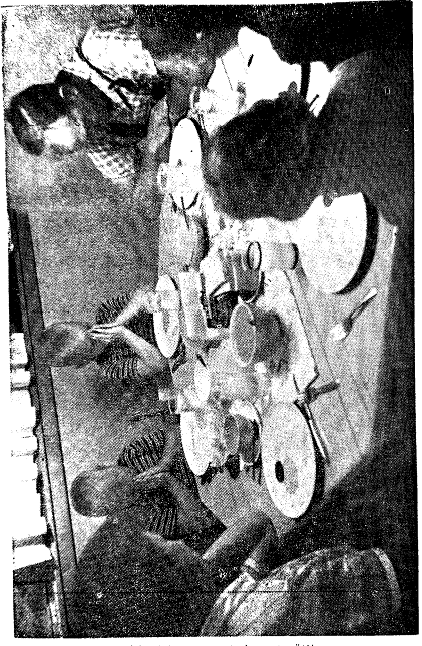
المادة لم تحجب الدين

والامريكى العادى متدين ، وقد يكون من المتعصبين فى الدين ويتدخل الدين فى حياته الخاصة والعامة الاقتصادية والسياسية ولم تستطع الحياة العملية والمادية التى يغرق فيها الامريكيون ان تنسيهم دينهم ، ولا ان تصرفهم عن مظاهر التدين .

قد تدهش وانت تحضر حفلة عائلية او حفلة فى نادى مــن النوادى فتجد رب العائلة أو رئيس النادى يفتح الصلاة فى خشوع والحاضرون يرددون قبل أن تمتد الايدى الى الاكل ، وقد حضرنــا حفلة غذاء في ضيافة نادي «الاسد» وكنا على جوع قاهر ، وصــادف أن كان بعض الاعضاء الجدد ينخرطون فى النادى يومهم ذاك ، وكانت حفلة الاستقبال مليئة بالخطب ، خطب الترحيب ورد الاعضاء الجدد عليها ثم القسم القانونية ، ثم بدأت خطب الترحيب بالوفد المغربى ، وكان الرد عليها بالطبع ، واخيرا إنتهــى دور الخطب وتمكن منــا الشوق الى الاكل ، ولكن قبل أن يقدم خدم النادى صحاف الاكــل البسيط بدأت الصلاة ، فانتظرنا فى صبر ، ولم يطل انتظارنا ، فقد كانت صلاة خفيفة عاد بعدها أعضاء النادى الى صخبهم ونشاطهــم وهم يتناولون الطعام .

والدين له أثره فى الحياة الامريكية ، وقد عاشت أمريكا فترات صــراع دينى بين طائفتــي البروتستانت والكاثوليك ، واذا كــان الاجنبى قد يجد مكانته فى المجتمع الامريكى ، فــان البروتستانتيين من الاجانب يجدون أر حب مكان ، ويدخلون الحياة الامريكية مــن الباب العريض ، وكان المهاجرون الكاثوليك أو اليهود يتجمعون فى بعض الولايات أو المدن التى تكون الاغلبية فيها من دينهم حتى يشتد ساعدهم ويقوى نفوذهم ثم يندفعون الى الولايات الاخرى اذ يصبحون في غير ما حاجة الى عصبية دينية تسندهم

وما يزال الكاثوليكيون واليهود مثلا يعتبرون جالية أجنبية ، رغم تمتعهم بسائر الحقوق السياسيــة ، ويــروون أن الامــريكــيين البروتستانتيين يتساءلون كلما وجدوا ولاة أو شيوخا ينتخبون من الكاثوليكيين قائلين : «ماذا سيحل ببلادنا البروتستانتية..؟»



عائلة تؤدى الصلاة قبل تناول الطعام

وما نزال نذكر أن العقبة الاولى التى واجهها الرئيس كيندى فى ترشيح نفسه للرياسة هي أنه كاثوليكى ، وأن تجربة واحـدة مرت قبل الآن فى تاريخ الولايات المتحدة اقتحمها مستر سميث فكان نصيبه الفشل ، ومع ذلك خاض كيندي المعركة رغم كثلكته فانتصـر بلباقته .

وقد تكون للحرية التى يومن بها الامريكيون الاثر الفعـال فى عدم تقبلهم للكاثوليكيين أو هضم المجتمع الواسع لهم بسهولة ، فهم يومنون بالمحافظة على مجتمع متفتح حر مختلط يقوم على أسـاس الجماعية ، والسلطة الكاثوليكية المرتبطة بسلطة البابا تهدد هـذا المجتمع ، فاذا أصبح أعلى منصب فى الدولة خاضعا لسلطة البابا ، فقد تصبح للكنيسة السيطرة على الدولة ، وذلك ما لا تقبله الغالبية المطلقة من الشعب الامريكى التى لا ترضى أن تتدخل الكنيسة فى حياة الفرد التعليمية والاقتصادية والسياسية ، والفصل بين الدولة والكنيسة هو العقيدة التى يدين بها الامريكيون مهما تكـن ديانتهم الرسمية ...

ورغم أن اليهود فى الولايات المتحدة لهم نشاط ملحوظ وسيطرة فى بعض الاوساط الاقتصادية وأثر مهم فى الحياة السياسية ، فـان الامريكى العادى يشعر باشمئزاز من اليهودى ، ويعامله بحذر لانه لا يشعر بالاطمئنان المطلق للتعامل معه ، واليهودى يحس بهذا المركب فيحاول أن يخفى دينه ، ولو كان أمريكيا عميق الغور فى امريكيته .

للسياسة مواسمها

الامريكيون قوم عمليون ، والسياسة عندهم عمل ومهنة ، ومـن طبيعة الرجل العملى ألا يتدخل فى شؤون غيره ، لان عنـده مـن عمله ما يكفيه لملء وقته ، وليس له «وقت فراغ» ليصرفه فى التفكير بأعمال الغير .

ورغم أن الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية كبرى فى السياسة العالمية وتدير شعبا من 190 مليون نسمة ، فان الامريكيين قلما يعنون بالسياسة ، أحاديثهم أحاديث الاختصاص : العالم أو أستاذ الجامعة يتحدث لك فى العلم وفى الجامعة ، والتاجر أو رب العمل يتحدث لك فى عمله ، ويدفعك للحديث عما يتصل بهذا العمل ، وعضو الشركة أو رئيس البنك لا يخرج عن نطاق الانتاج والاوراق المالية والمنافسة البنكية والاقتصادية ، ومن أجل ذلك لا يهتمون كثيرا بالسياسة العالمية أو المحلية على السواء ، قد لا يجهلون العالم ولا يستهينون بالاحداث السياسية ولكنها لا تملأ فراغهم أو عامر وقتهم ، وقلما تجد رجلين يناقشان موضوعا سياسيا بحدة .

ولكن للسياسة موسمها ، هو موسم الانتخابات العامة وانتخاب رئيس الولايات ، فسنة 1960 مثلا كانت سنة حافلة ، فيها برز الصراع حول منصب الرياسة أشده ، وكان صراعا هاما لان المنافسة فيه كانت بين حزبين لهما نفس حظوظ النجاح ، مرشحاهما شخصيتان جديدتان لم يكن لاي منهما ما يساعد على تزكية جانبه ، ولذلك كان الصراع حول الرياسة لم تشهده الولايات المتحدة منذ رياسة روزفيلت الاولى ، وقد لا تشهد مثل هذا الصراع فى سنة 1964 لان كيندى سيعيد ترشيح نفسه ، وأربع سنوات فى الرياسة كفيلة بتزكية نجاحه ، ولذلك فسيكون الشعب الامريكى أقل اهتماما بالمعركة الرياسية من اهتمامه فى سنة 60 .

والمهم أن الامريكيين يعبأون للاهتمام بالسياسة الداخلية والخارجية عن طريق المعارك الانتخابية التى تكون فرصة يهتم فيها المواطنون الامريكيون بموقف حكومتهم المنسحبة والقادمة من مشاكل العالم .

أما الفترة الفاصلة بين الانتخابات فيعيش فيها الامريكيون فى عزلة عن كل نشاط سياسى ، وحتى النشاط الحزبى ليس له وجود بعد أن ينتصر الحزب أو ينهزم ، فكل من الحزبين يعرف أنه سيقوم بدوره كاملا فى المعركة ولكل أجل كتاب .

الشيوعية تطير النوم من عيونهم

غير أن الموضوع الذى لا ينساه الامريكيون هو موضوع الشيوعية ، انهم يفكرون فيها ليلهم ونهارهم ، وهم يعتبرونها الخطر الذى يهدد كيان حياتهم التى ارتضوها لانفسهم عن طواعية ، ومن السهل جدا أن ينتقل الحديث برجل الاقتصاد مثلا من الانتاج والاستهلاك الى مقارنة بين المذهب الحر الذى تدين به أمريكا الى الاقتصاد الموجه أو المقيد ليقول لك فى صراحة : ان الشيوعية أفلست من حيث نجحت الرأسمالية . ومن السهل كذلك أن ينتقل الحديث بالاجتماعى من موضوع البطالة الى موضوع التجربة الشيوعية ليقرر أن البطالة فى النظام الرأسمالى أقل خطرا على المجتمع منها فى النظام الشيوعى الذى لم يستطع ان ينقذ منها عالمه .

ولا يحتاج الحديث عن الشيوعية عندهم الى مقدمات فان الافكار تتداعى بسرعة اذا كانوا سيتحدثون عن الشيوعية ، وأذكر فى هذا الباب سائقة «الطاكسى» التى نقلتنا من حديقة الاسماك فى ميامى بيتش الى المدينة ، كانت عاملة فى مظهرها وأسلوب حديثها ، وصوتها الاجش الذى تنبع منه شقوة العمل وادمان التدخين ، سألناها عن حياتها كسائقة طاكسى ، فتدفقت فى الحديث عن سعادتها فى العمل وعن مكسبها وعن مستوى حياتها المرتفع ، وانتقلت بسرعة لتحمل حملة منكرة على النظام الشيوعى الذى لا يستطيع ــ كما قالت ــ أن يوفر للعامل المستوى الذى يوفره النظام الامريكى . وتحمست فأخذت تلقى علينا خطابا فى انتقاد الشيوعية وأخذت

تؤكد فى حزم ألا مكان لها فى الولايات المتحدة لان الامريكيين راضون بحياتهم والمجتمع الامريكى مجتمع منصف غير ظالم ، يجد فيه الفرد مكانته ، ويرضى فيه كفاحه .

الحديث عن الشيوعية يطير النوم من عيونهم ولكنه ليس حديث سياسة ، وانما هو حديث الدفاع عن الكيان الامريكى وعن وجود الامريكيين ...

المرأة هي المرأة

الصورة التى تعطيها السينما عن المرأة الامريكية ليست هي الصورة الحقيقية التى يقدمها المجتمع الامريكى الحقيقى ، فليست هي بالمرأة المتبذلة ، ولا المرأة التى تخرج عن مجتمعها لتكون لها مجتمعا خاصا ، كما تكون المرأة الباريسية مجتمعها الخاص بحذلقتها وهندامها وسهراتها واتصالاتها .

المرأة الامريكية تكون نصف المجتمع الامريكى بكل مميزاته جد ونشاط وأخذ للحياة من جانبها العملى الصارم ، لهذا لا تعطى المرأة صورة عن غير مجتمعها فى الشارع أو المعمل أو المنزل : هي سيدة بيت تعنى بأولادها وزوجها ومنزلها وتستطيع أن توفق بين بيتها وعملها ان كانت موظفة أو عاملة . وهي مضطرة أن تمنح منزلها حظا من وقتها ، فالخدم والخادمات لسن فى مستوى كل العائلات .

والمرأة فى المنزل منظمة تستغل الآلة ، ولكنها تنزل المطبخ ، وتنظم الغرف وتعنى بالزوج والاولاد وتستقبل ضيوف زوجها بترحيب زائد ، وتشعر عند زيارتك للمنزل الامريكى أنك فى منزل تشرف عليه سيدة مدبرة .

وتدخل المعمل والمصنع ، فتجد المرأة تكون ما بين 25 و 40 فى المائة من مجموع عماله ، ولكنها لا تختار ، فهي فى الاعمال الشاقة

كمعامـل الصلب والحديد والسيارات ، وهـي فى أعمـال النسيج والخياطة وهي عاملة فى متجر أو مقهى وهي سائقة طاكسى ومحصلة فى الحافلة ، ولكنى لم الحظ أنها تقوم بدور الشرطى كما هو الحال فى انجلترا .

والملاحظة العامة أنها غير مبتذلة فى الشارع ، فهي فى حديثها كالرجل سواء بسواء ، لا تجد فى سلوكها العام ما يخدش ، ولا تجد الغزل الفاضح فى الشوارع ، فما تزال الامريكية تربأ بنفسها عن أن تندمج مع الرجل فى سلوك غير لائق فى الشوارع العامة كما تجد فى مدن فرنسا والبلاد التى مر منها الفرنسيون ، والذين يمارسون الحب يتوارون عن الانظار ، وفى أمكنة الخلوة متسع للمغرمين ، وفى شواطىء نهر واشنطن ملتجأ ليلى للذين يستبد بهم الشوق الى الجنس ، يواريهم الظلام عن أعين الرقباء ، ويتوارون عن أن يخدشوا كرامة المجتمع بأعمال لم تخلق الشوارع مسرحا لها .

مطبعة الاطلس – الدار البيضاء

الكتـاب والمـؤلف

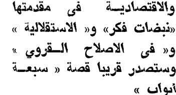
* هذا الكتاب نتيجة رحلة استطلاع ودراسة قام بها الاستاذ عبد الـكريم غلاب مدير جريدة العلـم اليومية ورئيس تحـرير مجلة البينة الشهرية .

* والكتاب ليس وصفا سياحيا فحسب ، ولكنه تحليل رائع لمختلف مناحى الحياة الامريـكية بكل ما تمتاز بـه من جديـة وعمل ، وتوضيح للفلسفة الاقتصـادية العملية التى تقود الحياة فى الولايات المتحدة الامريكية .

* ينقلك المؤلـف الى امريكا فى رحلة ممتعـة تزور خلالهـا مراكز العمل والمال والعلم والحضارة ، بعين فاحصة ، وعقل ناقد وضمير حى .

* تعتبر هذه الرحلـة من احسن الاستطـلاعات التى كتبـها





المؤلف عن حيـاة شعوب اروبا وامريكا والعالم العربي .

* صـدرت للمؤلف مجموعة من الكتب الادبية والسياسية والاقتصاديـة فى مقدمتها «نبضات فكر» و« الاستقلالية » و« فى الاصلاح الـقروي » وستصدر قريبا قصة « سبعـة أبواب »